الجناح

إلى طريق النجاح

تأليف السيد العلامة

محمد عبدالله عوض

حفظه الله تعالى

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وإخراج:

مكتبة أهل البيت (ع)

اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠)

تقديم مكتبة أهل البيت (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] ولقوله تعالى:﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] ولقوله تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

ولقول رسول الله صَلّى الله عَليه وآله وسَلّم:((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، ولقوله صَلّى الله عَليه وآله وسَلّم: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله صَلّى الله عَليه وآله وسَلّم: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله صَلّى الله عَليه وآله وسَلّم: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت

مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر- وقد بيّن صَلّى الله عَليه وآله وسَلّم بأنهم علي؛ وفاطمة؛ والحسن والحسين وذريّتهما عليهم السلام، عندما جلّلهم صلى اللّه عليه وآله وسلم بكساءٍ وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)) -.

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين صلوات الله عليهم عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لِثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت(ع) هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجابةً من أهل البيت صلوات الله عليهم لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبهم صلوات الله عليهم دينُ الله تعالىٰ وشرعه، ومرادُ رسول الله صَلّىٰ الله عَليه وآله وسَلّم وإرْثُه، فهو باقٍ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله صَلّىٰ الله عَليه وآله وسَلّم: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعلم أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفىٰ بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢] ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ:٢١].

وقد خاطبَ سيّد رسله صلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّم بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، مع أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّم ومن معه من أهل بدر، فتدّبر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك، علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُمْلَى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالإعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥][(1)].

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت(ع):

١- الشافي. تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رحمه الله تعالى١٣٨٨هـ.

٢- مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى، ١٠٢٩هـ-١٠٩٢هـ.

---

(١) - التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

٣- مَطَاْلِعُ الأَنْوَاْرِ وَمَشَاْرُقُ الشّمُوْسِ وَالأَقْمَاْرِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع) - ٦١٤هـ.

٤- مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع) ٣٧٦هـ - ٤٠٤هـ.

٥- مَحَاسِن الأَزْهَارِ فِي تَفْصِيْلِ مَنَاقِبِ العِتْرَةِ الأَطْهَاْرِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمه الله تعالى - ٦٥٢هـ.

٦- مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.

٧-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع) - ت ١٢٦٩هـ.

٨- لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٩- مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) ٧٥هـ - ١٢٢هـ.

١٠- شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) - ت ٦١٤هـ.

١١- صفوة الإختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

١٢- المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمه الله تعالى.

١٣- هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ت٨٢٢هـ.

١٤- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤ هـ.

١٥- المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم -عَلَيْهِما السَّلام-، تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٦- نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام / الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.

١٧- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى - ٤٩٤هـ.

١٨- عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

١٩- أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.

٢٠- الوافد على العالِم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦ هـ.

٢١- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٢-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٣- المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.

٢٤- خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٥- رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

٢٦-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٧- إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٨- الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٩- النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) ١٣٤٣هـ.

٣٠- سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.

٣١- الجواب الكاشف للإلتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى.

٣٢- أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٣٣- الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى - ٦٦٧هـ.

٣٤- العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) ٦٦٣هـ.

٣٥- الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع). تأليف الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.

٣٦- كتابُ التَّحْرِيْرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.

٣٧- مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) ١٣١٩هـ.

٣٨- القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى.

٣٩- قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي الضحياني حفظه الله تعالى.

٤٠- نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي الضحياني حفظه الله تعالى.

٤١- معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي الضحياني حفظه الله تعالى.

٤٢- الإختيارات المؤيَّدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).

٤٣- من ثمارِ العِلْمِ والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي الضحياني حفظه الله تعالى.

٤٤- التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٥- المنهج الأقوم في الرَّفع والضَّم والجَهْرِ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعِ الأَعَمِّ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع).

كما شاركت مكتبة أهل البيت(ع) بالتعاون مع مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية في إخراج:

٤٦- مجموع رسائل الإمام الهادي(ع)، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٤٧- العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ.

٤٨- المصابيح وتتمته، تأليف/ السيد الإمام أبي العباس الحسني(ع)-٣٥٣هـ، والتتمّة لعلي بن بلال رضي الله عنه.

٤٩- الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) - ١٣١٩هـ.

ومع مكتبة التراث الإسلامي:

٥٠- البدور المضيئة جوابات الأسئلة الضحيانية، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) - ١٣١٩هـ.

وبالتعاون مع مركز بدر العلمي والثقافي:

٥١- التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٥٢- ديوان الحكمة والإيمان. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٥٣- البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إنشاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به(ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إيماناً بوجوب النصيحة التي حث عليها القرآن ودعا إليها سيد ولد عدنان ﷺ فقد وضعت في هذه الصفحات ما عندي من ذلك، على حسب ما تستدعيه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، نزولاً عند رغبة الأخوين الفاضلين الأخ الفاضل/ علي مسعود الرابضي حفظه الله والأخ الفاضل/ عبدالله علي القذان حفظه الله.

وقد اشتملت هذه الصفحات على مواضيع هامة ينبغي أن يطالعها الإنسان ويكرر دراستها الحين بعد الحين، وينبغي أن يقرأها الإنسان على زملائه، وعلى من أمكنه، ففيها مواعظ وتذكير متعلق بأمور هامة كما قدمنا، ومن المستحسن أن يقرر المدرس لطلبته درساً في هذه الصفحات.

وأسأل الله أن ينفع بها، وأن يهدينا جميعاً إلى الحق القويم، والصراط المستقيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أهل بيته المطهرين، وبعد:

فقد اقترح بعض الإخوان وضع باب يتضمن ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم، فاستحسنت ذلك، وها أنذا أشرع في المقصود مستعيناً بالغفور الودود.

النية

فأول ما ينبغي لمن يريد طلب العلم تقديم النية الحسنة، والنية الحسنة: أن يعزم في قلبه عزماً، ويعقد في قلبه عقداً على أن يطلب العلم الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وألزم المكلفين بمعرفته.

ونجاح هذه النية، والحصول على الغاية منها مرهون بعدة أمور لابد من توفرها:

الأمر الأول: الإخلاص

فلا بد أن تكون النية خالصة لا يخالطها ما يكدر صفوها، ولكي تكون النية خالصة لله فيجب مجاهدة النفس فيما تدعو إليه من حب الرفعة والترؤس، وحب الجاه والمال، وحب الثناء، فالنفس بطبعها تدعو إلى ذلك دائماً، وتميل إليه وتنجذب، ومن خلال ذلك يتسلل الشيطان إلى قلب المسلم فيفسد عليه نيته، وما يبتني عليها، ومن هنا جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ

ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...الآية﴾ [البينة:٥]، فعلى المسلم أن يكون متيقظاً شديد التيقظ، ومتحذراً شديد الحذر من تلك المداخل التي يتسلل منها الشيطان، فيغلقها في وجهه، وقد حكى الله تعالى عداوة الشيطان، وما أخذ على نفسه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وإغلاق الأبواب في وجه الشيطان يتم بما يلي:

١ـ الاستعانة بالله تعالى، والاستعاذة به من الشيطان، وكثرة الدعاء.

٢ـ إذا حدثتك نفسك بأنك ستنال المكانة العالية، وسيشار إليك بالبنان أو بنحو ذلك فجدّ في طلب العلم؛ لتصل إلى هذا الأمل السعيد، فإذا حدثت نفس المرء بهذا أو نحوه، فليقل لها: اخسئي أيتها النفس الأمارة بالسوء، فإن المغرور من صدقك، وليقل: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، اللهم أعني على نفسي، وليعلم المؤمن أن الإخلاص يبلغ بالمرء الذروة من الشرف والرفعة، وينزله منازل الأبرار، ومن هنا روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((طوبى للمخلصين: الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، أولئك هم مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء)).

وكما أن الاتصاف بالإخلاص والنية الصالحة تصل بالإنسان إلى المنزلة الرفيعة، فإن الاتصاف بالرياء وسوء النية تهبط بالمرء إلى أسفل الدركات، ومن شأن الرياء أن يحجب الإنسان عن ربه تعالى، وينزل به إلى منزلة الحيوان، فلا تزكو له نفس، ولا يقبل منه عمل، وسيفضح الله تعالى المرائي، ويكشف خداعه، ويهتك ستره.

نعم، إذا عمل الإنسان العمل وأخلص فيه لله تعالى، ثم اطلع عليه الناس وحمدوه وأثنوا عليه، فإن ذلك لا يحبط عليه عمله.

الأمر الثاني: الاستعانة بالله تعالى

فقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في أول ما أنزل عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق] فالنجاح الذي هو النجاح هو في السير على ضوء إرشاد العليم الحكيم.

فعلى طالب العلم أن يكثر من طلب الإعانة بعد الصلوات وليلاً ونهاراً وعند القراءة وقبلها وبعدها.

الأمر الثالث: التوبة والاستغفار وملازمة التقوى

في الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))، وعلى هذا فإن من كان عاصياً لله غير تائب فإن الله تعالى لا يريد به خيراً في حال عصيانه؛ ومن هنا قال الشافعي في أبيات:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأنبأني بأن العلم نورٌ ... ونور الله لا يؤتى لعاصي

وهذا صحيح، فإنا وجدنا الله سبحانه قد جعل العلم والنور ثواباً عاجلاً للمتقين المهتدين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ...الآية﴾ [الحديد٢٨].

وفي الحديث: ((من أخلص لله أربعين صباحاً قائماً ليله صائماً نهاره تفجرت ينابيع الحكمة من على لسانه)) أو كما قال.

فعلى طالب العلم الإكثار من التوبة والاستغفار وملازمة التقوى، وألا يتساهل في شيء من معصية الله تعالى.

فهذه الأمور الثلاثة يجب أن يستحضرها الطالب للعلم في وقت النية وبعدها، وفي حال طلب العلم، وعليه أن يكثر من الدعاء والاستغفار وطلب الإعانة من الله، وأن لا يمل من ذلك، فإن الله تعالى لا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، فإنه تعالى سميع عليم، غفور رحيم، قريب مجيب.

نعم، ولعل الإخلاص هو السر في الأضعاف المضاعفة من عشرة أضعاف إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف.

وقد قال الرسول ﷺ في بيان منزلة الإخلاص وأهميته: ((الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم)).

لهذا ترى المخلص يعمل الخير، ويحارب الشر، وإن لم يكن له فيه منفعة ولا هوى، لا تهمه الشهرة، ولا محمدة الناس، ولا رضاهم، بل إنه يؤثر الخفاء على الشهرة، وعمل السر على عمل العلانية، تجنباً للرياء، وبعداً بنفسه عن مزالق الشرك الخفي، متمنياً أن يكون من الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا.

كيف يكون الطالب حال الطلب؟

يجب أن يكون الطالب حال الطلب متواضعاً:

أولاً- لربه وخالقه تبارك وتعالى، فيمتثل لأمره، وينتهي عند نهيه، ويتأدب بآدابه، ويرجوا ثوابه، ويخشى عذابه، ومعنى ذلك: أن يتخلى عن نفسه ويسلمها لربه خالصة، ويعتقد في قلبه ذلك، وأنه عبد الله تعالى مملوك، لا أمر له معه، يسير في طريق الله التي رسمها لعباده من غير تلكؤ ولا استبطاء ولا ضجر، قد رضي عن الله في كل ما أمر ونهى، في كل ما قسم له من العافية والبلاء، والفقر والغنى، لا يحسد أحداً على ما آتاه الله من فضله، ولا يتبرم بما هو فيه من الفقر والبلاء، ولا يشكو إلى أحد فقراً ولا بلاءً، بل هو في كل حالاته سعيد راضٍ بما هو فيه، قد عرف أن ربه غني حميد، وأن خزائن السماوات والأرض في يده، وأنه ما صرف عنه الدنيا إلا بعلم وحكمة، وأن فعل الله فيه رحمة له وخير له، فطرد هموم الدنيا وأحزانها عن قلبه، وحل محلها القناعة، وعرف أن ما قضاه الله تعالى خير، فهو من عباد الرحمن حقاً

وصدقاً، قد أخضع هوى نفسه لربه، وتواضع لعظمته، واستسلم لعزته وخشع لرهبته، فتخلى عن شخصيته ومعنويته، وعزته وكرامته.

وكان كما ورد في الأثر: ((المؤمن هين لين)) ((المؤمن غر كريم)).

ثانياً- لمشائخه، فعليه أن يوقرهم ويعظمهم، ولا يرفع صوته عليهم، ويتأدب في السؤال والجواب، وفي الحوار والخطاب، ولا يترفع عن الاستفادة من أي شيخ؛ فإن الرفعة في التواضع.

ثالثاً- لزملائه، فلا يترفع عليهم، ولا يسيء في خطابه إليهم، وعليه أن يوقرهم ويبجلهم، ويعظمهم، ولا يرى لنفسه عليهم حقاً، ولا يتهمهم بالتقصير في حقوقه وإن كان أكثر منهم علماً، وأرفع نسباً، وحري بمن كان كذلك أن يكون أشدهم تواضعاً، وأكثرهم مراعاة لحقوق زملائه؛ فإنه لا يزيده ذلك إلا رفعة.

والواجب على من فضله الله تعالى بعلم أو فهم أو نسب أن يشكر الله تعالى، والشكر لله تعالى هو بالتواضع له سبحانه وتعالى، وبالتواضع لعبيده، وأن لا يتطاول على أحد من خلقه، ثم يحمد الله تعالى على ما آتاه من الفضل، ويسأل ربه أن يزيده من فضله.

ولا ينتظر من زملائه ويتطلب منهم أن يعظموه ويشكروه، ويوفروا له ثواب فضله عليهم، فإن قاموا بحقوقه فذاك وإلا عاد عليهم بالذم والتثريب[١].

---

(١)– التأنيب. تمت

وصلوات الله على سليمان بن داود، فلقد كان عالماً بطبيعة الدنيا إذ قال حين نظر إلى فضل الله عليه: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وآله فلقد كان أشد الناس تواضعاً؛ فإنه ما انتقم لنفسه قط، ولا ترفع على صغير ولا كبير، ولا على شريف أو وضيع.

ولهذا كان يسوي نفسه بأصحابه، لم ير لنفسه مكاناً عليهم، أو تطلب منهم أن يقدروه أو يرفعوه على أنفسهم، ومن هنا قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولكن الله تعالى كان يغار على نبيه من كثرة تواضعه فيأمر بتعظيم نبيه، وبتوقيره، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ...الآية﴾ [الحجرات:٢]، وقال في تأديب الصحابة: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

فعلى الطالب أن يكون في غاية التواضع، ومن ذلك أن لا يلوح لزميله بسوء الفهم، فإن ذلك مما يصدع القلوب، ويكدر صفو المودة، وقد أمر الله تعالى بإصلاح ذات البين في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

ولن يتم هذا الواجب الذي افترضه الله تعالى في الكتاب الكريم إلا إذا تجنب المرء أسباب الشيطان التي تكدر الصفو، ثم القيام بحقوق الأخوة الإسلامية.

*****

الحسد

يتفاوت طلبة العلم كغيرهم في الذكاء وغيره، فبعضهم أذكى من بعض، فهذا سريع الفهم، وهذا بطيء الفهم، وهذا له وجاهة بين الزملاء وذاك بخلافه، وهذا له محبة عند زملائه والآخر بخلافه، وهذا محظوظ في رزقه وهذا محروم، وبعضهم له قدرة على التعبير والخطابة، وهذا أقل مقدرة منه، وآخر صوته حسن وذاك بخلافه.

وقد يكون الأقل علماً أكثر حظاً في إقبال الطلبة إليه والدرس عنده وهكذا، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠].

وهكذا سنة الله في خلقه، فتراه سبحانه يعطي زميلك أو شيخك أو جارك رغد العيش وملاذه ومشتهياته، ويمكنه من نيل ذلك، ويغدق عليه المال، ويوجه إليه أفئدة الناس، ويمكن له في الدنيا، بينما ترى زميله أو من هو في منزلته في العلم أو أكبر منه منزلة أو أقل على العكس من ذلك، فتراه محروماً من كل ذلك المتاع، فلا ينال لقمة العيش الجافة إلا بعد تعب، ولا يكاد يعرف اللحم والسمن والعسل، سيارته رجلاه، فهو يقاسي من شدة الفقر وقسوته في حال ما ترى زملاءه أو مشائخه وجيرانه يتقلبون في متاع الدنيا وزينتها لا يشتهون شيئاً إلا نالوه.

نعم، وصنيع الله تعالى هذا ليس لكرامة أحدهما عليه وهوان الآخر، كلا؛ فلقد أعطى الله تعالى فرعون زينة وأموالاً، وحرم موسى وهارون، ولقد بلغ صنيع الله تعالى بموسى حالاً اقتضت أن يأكل من ورق الشجر حتى قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] قال علي عليه السلام: والله ما سأل موسى ربه إلا قرصاً من العيش يسد به جوعته.

فطالب العلم العاقل المؤمن بالله يعرف أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد رضي بما قسم الله تعالى له، واطمأن به وسكن إليه، فلم يشغل نفسه بما قضاه الحكيم، وقسم بين عباده العزيز العليم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

قد عرف أن الله أعرف بمصالح عباده، وأن قسمته عدل وحكمة.

وعرف أن الفقر شعار الصالحين، وزينة المتقين، وصديق الأنبياء والمرسلين. وعرف أنه إن رضي فله رضا الله، وإن سخط فله سخط الله، وأن الله تعالى لم يعط من أعطى لكرامته عليه، ولم يحرم من حرم لهوانه عليه. وأنه إن سخط قسمة الله وكرهها فإن ذلك لا يردها، فأراح نفسه من التعب. وأن الفقر أقرب إلى التقوى، وأبعد من الذنوب الناتجة عن التفريط في الحقوق المالية، وأبعد من شواغل القلب، ومن حسد الناس وعداوتهم لأجل المال.

المؤمن العاقل يعرف أن ذلك فتنة واختبار، يختبر الله تعالى بذلك عباده، ومن هو الذي سينجح في هذا الاختبار، ويصل إلى العاقبة الحسنى التي أعدها الله للناجحين.

وليعلم الطالب أن الله سبحانه وتعالى سيأجره على الصبر ومدافعة الحسد، وعلى الرضى بما قضاه الله تعالى فيه.

فعلى هذا يكون المؤمن قد استجمع الخير ولفه إليه من جميع أطرافه، فمن هنا يكون الفقر نعمة يجب أن تشكر.

نعم، الحسد آفة عظيمة وبلية جسيمة تحتاج إلى قوة إيمان وإلى همة عالية ويقين، وللسلامة من الحسد ينبغي:

أولاً- أن يعلم أن الله هو الذي قسم بين عباده، لحكمة بالغة.

ثانياً- أن يجاهد نفسه، ويكبح جماحها، ويقول لها: اخسئي أيتها النفس الأمارة بالسوء، والداعية إلى الخسران، وإلى طاعة الشيطان، أتريدين أن أدخل في صف اليهود الذين ذمهم الله تعالى على الحسد فقال: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴿٥٤﴾**﴾ [النساء].

ثالثاً- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ومن شر النفس الأمارة بالسوء.

رابعاً- الدعاء في السر لمن تهم نفسك بالحسد له، وتقول: اللهم زده نعماً إلى نعمه، وفضلاً إلى فضله، ثم تقول: يا ذا الفضل العظيم هب لي من فضلك، وزدني ولا تنقصني، وأكرمني ولا تهني، وأعطني ولا تحرمني، وآثرني ولا تؤثر عليَّ، وأعزني وارفعني، وأوسع لي في رزقي، وأصلح ديني ودنياي وآخرتي، ولا تفتني بما منعتني، وهب لي نوراً أمشي به في الناس، وأهتدي به في الظلمات، وزدني علماً، اللهم أنت العليم الحكيم، أنت تعلم ما يصلحني وما يفسدني، فهب لي ما يصلحني واصرف عني ما يفسدني، ورضني بما قسمت لي، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، اللهم صل وسلم على محمد وآله الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

هذا، واعلم أن طبيعة الحسد عند كل إنسان، لكن المؤمن يجاهد هذه النزغة التي جبلت عليها النفس ويردها، ولا يستجيب لداعيها، وبسبب المدافعة يستحق المرء الثواب، وحسن العاقبة؛ لأن الثواب على قدر المشقة، وفي ذلك من المشقة ما يحق له أن يسمى بالجهاد الأكبر.

******

عادة سيئة

قد يكون للطالب رفعة ومكانة إما في مدرسته وبين طلبته، وإما في مكان آخر فيسيئه أن يتعلموا من غيره؛ لئلا تنقص مكانته في نفوسهم، ويقوم ويقعد لذلك، وهذا من عمل الشيطان، إنه عدوٌ مضل مبين، فليحذر الطالب أن يكون هكذا فلقد خاب إذاً وخسر.

فالطالب المؤمن يسعى بكل جهده في تعليم طلبته أو أهل قريته، سواءً كان هو المعلم لهم أو غيره، فإن أخذوا العلم عن غيره فإنه لا ينقص من أجره ومكانته عند الله شيء، بل ولا عند الناس، فليعلم الطالب أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرفع ويضع، ويعز ويذل، وليطمئن على مكانته وعلى رفعته وعزته إذا كانت نيته خالصة لله تعالى، فإنه ليس لأحد إلى هدمها من سبيل، واللازم على الطالب الاقتداء بنبيه ﷺ، فلا يطلب على التعليم أجراً، ولا يقصد به جزاءً ولا شكراً، بل يُعلِّم ابتغاء رضوان الله، ولا يرى لنفسه منة عليهم، وإن كانت المنة لازمة عليهم.

أما أولئك الذين يستاؤون إن أفدت طلبتهم، أو نصحتهم، أو خطبت في قريته ووعظت، ويظنون أن أولئك الطلبة أو أهل تلك القرية سلمٌ لهم وحكر عليهم، فلا يحق لأحد أن يأتيهم، ولا لهم أن يأتوا إلى أحد ولو كانوا في حاجة، فهذا الصنف من الطلبة لا خير فيهم، وسعيهم في ضلال، ولن يجنوا إلا الخسران، ونقول لهم: توبوا إلى الرشد، وأصلحوا نياتكم، واطلبوا الثواب من ربكم، ولا تكن أعمالكم لطلب المكانة والرفعة، اطلبوا الرفعة من الله تعالى، وأتوا البيوت من أبوابها، فإن الكرامة في التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] والعزة هي في طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

وإنكم بهذا قد أغلقتم باب المعاونة التي فرضها الله في القرآن حيث يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

نعم، قد لا يخلو الطالب من وساوس النفس الأمارة بالسوء، ومن نزغات الشيطان الرجيم في حال طلب العلم وقبله وبعده، ولكنه في حال الطلب للعلم ربما زادت نزغات الشيطان، فقد يكون للطالب زملاء في مستوى واحد، وفي مرتبة واحدة، ومع مرور الأيام يتقدم عليهم بعضهم في الحفظ والذكاء، وجودة الفهم، وحسن المناقشة والاعتراض والجواب، ثم يحظى من بينهم بالنباهة، وحسن الذكر عند الأساتذة، وبين أهل قريته ومجتمعه، مما يؤدي ذلك إلى حسد زملائه له، ثم إلى تنقيصه وذمه واتهامه، وهكذا الأستاذ قد ينبغ من بين طلبته نابغ فيحظى بالنباهة مما يدعو أستاذه إلى الحسد له.

فليحذر طالب العلم عند حصول مثل ذلك من أن يقع في حبائل الشيطان، وليجاهد نفسه أشد المجاهدة، فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولا يطع نفسه في شيء من ذلك أبداً، وليصبر على ما يجد، وليسأل الله من فضله، وليعلم أن ذلك فتنة له واختبار، فليصبر وليجاهد نفسه حتى تمر عليه هذه المحنة، وهذا الاختبار، فإنه إن صبر وجاهد نفسه حتى النجاح، فإنه سيحصل على الوعد الجميل، وسيوفى أجره بغير حساب، وسيحظى بالصلوات المتتابعات، والرحمة العظيمة، ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، شرف الدنيا وشرف الآخرة، رفعة الدنيا ورفعة الآخرة، وعز الدنيا وعز الآخرة.

أما إذا انقاد لوسواس النفس، وطاوع الشيطان الرجيم، وقام وقعد لأحد زملائه بالتنقيص والذم والحقد، فقد استحق من الله الطرد واللعن، والذم والرجم، والغضب الشديد، ونعوذ بالله من غضب الله، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق:١-٥] الحاسد من أتباع الشيطان ومن جنوده، فاحذر أيها الطالب من الخروج من ولاية الرحمن إلى ولاية الشيطان، ومن ولاية الله إلى عداوة الله.

*****

العجب

قد يكون عند بعض الطلبة فضل ذكاء، وقوة على الحفظ ـ وذلك فضل من الله ونعمة ـ، وربما تسلل الشيطان من خلال ذلك إلى قلب صاحبه فيعظم إليه نفسه، ويحدثه بخصائصها ومميزاتها وبمواهبها، ثم يوازن الشيطان بينه وبين زملائه، فيريه نفسه في المنزلة العليا وزملاءه في المنزلة السفلى.

حتى إذا استولت عليه هذه الوساوس نظر إلى زملائه بعين الاحتقار والازدراء، وحينئذ يستحق المقت ويصير من تلامذة الشيطان وجنوده.

وبعد، فنقول: إنه قد لا يخلو ذووا الذكاء عن مثل هذه الوساوس والخواطر، غير أن اللازم عند ذلك أن يكثر من حمد الله وشكره؛ لأنها نعم عظيمة يجب أن تشكر ولا تكفر، فيجعلها وسيلة إلى ذكر الله تعالى وحمده وشكره، وإلى التواضع للمؤمنين، والإحسان والرحمة.

ألا ترى كيف علَّم الله نبيه وأرشده إلى الشكر لتلك النعم التي عددها في سورة الضحى في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى۝٨﴾ [الضحى].

ثم أرشده إلى شكر تلك النعم، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ۝١١﴾ [الضحى].

فالبصير في دينه يتواضع، ويشكر الله تعالى، ويتنازل عن حقوقه، ولا يرى لنفسه مكانه، ويحسن إلى إخوانه وزملائه خاصة، وإلى المؤمنين عامة، ولا يتخذ ما أنعم الله به عليه من الذكاء وزيادة العلم والفهم وسيلةً إلى الترفع على إخوانه وزملائه،

والاحتقار لهم والازدراء منهم، والضحك من سوء فهمهم، وحقيق بمن لم يكن كذلك أن يستلب منه التنوير والذكاء والفهم، ويستولي عليه الخذلان، ويستهويه الشيطان: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور].

فليحذر الطالب للعلم من احتقار أي طالب للعلم، ومن الضحك من زملائه، وأقصد به الضحك الذي يعبرُ به صاحبُه عن سوء فهم زميله الذي يضحك منه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

*****

التعاون

قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

الطالب إذا كان في مدرسة كبيرة تضم كثيراً من الطلبة والمعلمين، فإن الواجب عليه وعلىٰ جميع الطلبة والمعلمين أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وذلك بأن يقوم كل واحد من الطلبة والمعلمين بعمله أحسن قيام، فالطالب يمتثل أمر شيخه، فيحفظ دروسه، ويحافظ علىٰ مواعيد الصلاة، ويكف أذاه، ويقوم بكل قوانين المدرسة، والمعلم والقائم بعمل في المدرسة يؤدي عمله بكل نشاط، وعلىٰ أحسن وجه، فإن ذلك من أداء الأمانة، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال تعالىٰ في مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۝٨﴾ [المؤمنون].

وعلىٰ الجملة فإن طلب العلم ونشر العلم وتعليمه من أكبر أنواع البر، وقد فرض الله تعالىٰ علىٰ عباده في كتابه التعاون علىٰ البر في الآية الأولىٰ، وبناءً علىٰ هذا فإن كل ما يساعد علىٰ نشر العلم أو يرغب فيه، فإنه من تمامِ المعاونةِ المأمور بها في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...الآية﴾ [المائدة: ٢].

ومن تمامِ الدعوةِ إلىٰ الله التي نوَّه الله بصاحبها في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٣٣﴾ [فصلت].

فعلىٰ المعلم في المدرسة أو العامل فيها أن يحتسب الأجر من الله، وليعلم أنه عامل من عمال الله، وعليه أن لا ينظر إلىٰ من فوقه أو تحته، أو من يساويه بل يعمل عمله من أجل ثواب ربه، ومن أجل أمر ربه بالمعاونة لطلبة العلم، ولا يأنف إذا قال له آمر فوقه: اعمل كذا، فإن الأنفة من ذلك هي من نزغات الشيطان، يريد أن يصده بها عن عمل البر والتقوىٰ.

غير أن من الواجب علىٰ كل عامل في المدرسة أن يتجنب كل لفظ فيه تعالٍ ورفعة، وعليه أن يستعمل اللطف في طلب المعاونة من الطلبة أو من غيرهم، ويتجنب الأوامر الحازمة التي يمكن أن يحصل المطلوب من دونها مهما وجد إلىٰ ذلك سبيلاً، فإنه ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وفي الرفق يمن وفي الخرق شؤم، ولو كان الرفق رجلاً لكان صالحاً، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء:٥٣]فهنا يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ

أن يقول لعباده وأن يرشدهم باستعمال الكلمة اللينة، والعبارة اللطيفة في محاوراتهم ومخاطباتهم، وأن يستعملوا الخطاب الحسن، بل أن يستعملوا العبارة التي هي ألطف وألين وأحسن؛ لأن الآية وردت بصيغة التفضيل، ثم علل سبحانه ذلك فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ - بسبب الخشونة في الكلام - يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ فيكدر صفوهم، ويثير بينهم بسبب ذلك العداوة والبغضاء، وقال الله تعالى في العهد الذي أخذه على بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وتفسير هذه الآية يشابه تفسير الآية الأولى، فهي في استعمال اللين والرفق والتلطف في المحاورة والخطاب.

فعلى المؤمن وخصوصاً طلبة العلم وحملته أن يتأدبوا بآداب الله تعالى، ويتخلقوا بأخلاقه، وقد وصف الله تعالى الرعيل الأول فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ...الآية﴾ [المائدة: ٥٤].

فليعلم الطلبة والمعلمون أن الكلمة القاسية بين المؤمنين مكروهةٌ في الإسلام، وأن الكلمة التي هي أحسن فريضةٌ واجبة بين المؤمنين، فرضها الله في القرآن ودعا إليها الرحمن وكرر ذكرها في آيات كثيرة؛ لما لها من الشأن والمكانة عند ذي الجلال والإكرام.

فمن ذلك زيادة على ما سبق: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد ضرب الله المثل للكلمة الطيبة، وللكلمة الخبيثة في كتابه الكريم، وكم في السنة في هذا الباب، ولكن ما ذكرنا فيه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الإنسان هو محل الخطأ والنسيان، فقد تزل به قدمه؛ إما عن جهل أو غضب أو عن غير ذلك، فيخالف تأديب ربه، فيخشن في كلامه على زملائه أو على طلبته ويتجاوز الحدود، فاللازم علينا عند هذه الحالة أحد أمرين:

١ـ أن نداويها بالعلاج الذي عالجها الله تعالى به، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] فالواجب رد الكلمة السيئة بالكلمة التي هي أحسن، وقد مدح الله عباد الرحمن بمدائح في سورة الفرقان، منها قوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ومعنى (قَالُوا سَلَامًا) على أحد تفسيرين:

قالوا قولاً يسلمون من تبعاته، فلا يلحقهم بسببه ذنب.

والتفسير الثاني: مثل ما جاء في آية أخرى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

٢ـ أو بالسكوت والإعراض، وتماماً كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ معلماً له كيف يقابل أذى أهل الكتاب والمشركين في سورة المائدة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وهذه درجة فوق درجة السكوت والإعراض، إنها درجة العفو والصفح، ثم أفادت الآية أن ذلك من الإحسان، وأن الله يحب فاعله.

فإذا كان الله سبحانه قد أمر رسوله بالعفو عن أهل الكتاب والمشركين الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦] مقابل هذا الأذى الكثير، فإنا نعلم بطريق الأولى أن العفو عن المؤمنين فيما صدر عنهم من أذى قليل أو كثير له مكان كبير عند الله، ومنزلة رفيعة.

فعلى الطالب أن يتأدب بآداب الإسلام، ويستضيء بنور القرآن، فلا يقابل السيئة بالسيئة، وليجاهد نفسه على ذلك، ولا يسمح لها بالتشفي، وليعلم أنه مأجور على كظم الغيظ، قال تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران] وكفى بهذا ثواباً وأجراً، وقال الشاعر، وهو أبو نواس:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام
مُتْ بداء الصمت خيرٌ ... لك من داء الكلام
إنما السالم من ألـ ... ـجم فاه بلجام

*****

الاشتغال بعيب النفس

وعلى الطالب أن يشتغل بعيوبه وذنوبه، ولا يشغل نفسه بالتتبع لعورات الآخرين والتجسس عليهم، فإن الله سبحانه وتعالى قد نهى المؤمنين عن ذلك في سورة الحجرات فمن كان من المؤمنين، فليتق الله، وليترك التجسس والتتبع لمعائب الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

وفي السنة الكثير من التحذير عن ذلك والوعيد الشديد، ولكن فيما ذكرنا من النهي في القرآن كفاية لأهل القرآن.

فالمؤمن له من نفسه شغل شاغل، فليشغل الطالب نفسه بنفسه، ولا يستنبط ويجتهد في فلان وفلان، فلان طيب وفلان دونه، وفلان خبيث وفلان منافق، فهذا من الفضول المذموم، والخلق المشؤوم، وقد قال الله تعالى في مثل ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۝٧١﴾ [الأحزاب].

وصية لأمير المؤمنين

وقال أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام:

(يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ مِنْ نَفْسِكَ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ) [من نهج البلاغة].

الحث على ستر العورة

بلى، إنه ليحق بالمؤمن إذا اطلع من أخيه على عورة أن يستر عليه عورته، ولا يحدث بها، فإنه في ذلك مأجور، وقد جاء في الرواية عن النبي ﷺ كثير في هذا الباب، فمن ذلك قوله ﷺ فيما روي عنه: ((من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة))، وقال ﷺ فيما روي عنه: ((من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة)).

رذائل تكدر الصفو

وقد جاءت الرواية عن النبي ﷺ بالتحذير من رذائل تكدر صفو المودة بين المؤمنين، وتسبب التنافر بينهم، فقال ﷺ فيما روي عنه: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه، كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ـ ألا لا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)).

*****

عوائق في سبيل طالب العلم

١ـ القرابة: قد يكون هناك عوائق في طريق طالب العلم، بل ربما لا يخلو طالب العلم عن شيء منها، فقد يقف في طريقه أبواه أو أحدهما أو أسرته كلها أو أهل قريته، واللازم على طالب العلم عندئذٍ الصبر على الأذى، ومواصلة طلب العلم، والاستعانة بالله تعالى، وليكثر من: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ...﴾[الأعراف: ١٢٦] ...إلخ

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي تعلمه من جبريل عليه السلام يوم حنين، وهو: ((اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان))، وليدارِ الطالبُ أبويه، وليتلطف لهما، ولا يغلظ لهما الكلام؛ فإن حقهما كبير.

وإذا كان الطالب في فراغ من وقته فليجعله في خدمة أبويه، وهكذا كلما حصل له فراغ، وليصبر على ما لحقه من الأذى من أبويه بسبب طلب العلم، وليستعن بالله كما قدمنا، فإن الفرج مع الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، فهذا وعد من الله، فليثق طالب العلم بوعد الله.

٢ـ الفقر: الفقر هو سيماء طلبة العلم وحليتهم، بل إنه أحد الستة التي لا ينال العلم إلا بها، وهي:

ذكاءٌ وحرص وافتقار وغربة وتلقين أستاذ وطول زمان

فليحمد اللهَ طالبُ العلم أن وفقه لطلب العلم، وحماه من زينة الدنيا ومتاعها، فلولا توفيق الله تعالىٰ وحمايته؛ لاستهوته زينة الحياة الدنيا وشغلته عن ذكر الله وطلب العلم.

وعلىٰ المؤمن -وخصوصاً طالب العلم- أن لا ينظر إلىٰ أهل الدنيا، أو إلىٰ من هو فوقه في المعيشة، فإن ذلك سوف يؤدي إلىٰ أن يحتقر نعمة الله التي هو فيها، وعليه أن يكرر النظر إلىٰ من هو دونه في المعيشة والصحة وقلة ذات اليد، وأن ينظر إلىٰ أهل العاهات والمصائب والأمراض، فإن ذلك سوف يؤدي به إلىٰ شكر النعمة التي هو فيها واستعظامها، وبذلك ينال ثواب الشاكرين، ويحظىٰ برضا رب العالمين.

وبهذا أوصىٰ النبي ﷺ أبا ذر الغفاري، فقد أوصاه بأن ينظر إلىٰ من هو دونه، وأن لا ينظر إلىٰ من هو فوقه.

وبعد، فإنها وصية الله تعالىٰ لنبيه ﷺ في الكتاب الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]، وقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يصبر مع المؤمنين المساكين، ولا يعدِّي بصره إلىٰ أهل الدنيا وأهل الغنىٰ والترفه، ثم قال الله تعالىٰ للفقراء من المؤمنين مسلياً لهم عن الدنيا، ومذكراً لهم بنعمه عليهم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...الآية﴾[التوبة: ٥٥].

فعلى المؤمن وطالب العلم خصوصاً أن يسير على ضوء هذه الوصايا الربانية التي جاءت في القرآن الكريم، وأن يتخلق بهذا الخلق الرفيع الذي تخلق به النبي ﷺ والصالحون من أمته.

وليعلم الطالب أن الفقر والغنى ليس ميزاناً تعرف به منازل الرجال في التقوى، بل لا يعدو الأمر أن يكون كما قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠].

فالفقر بلوى وفتنة، وكذلك الغنى، فإذا صبر الفقير على فقره ورضي بقسمة ربه، ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله من فضله، نال بذلك ثواب الصابرين، وهذه هي منزلة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون، الذين أوتوا العلم واليقين.

وقد حكى الله لنا كيف كان نظر الناس إلى زينة قارون، وقسمهم قسمين: قسم من أهل الدنيا، وقسم من أهل الآخرة، فحكى لنا قول كل قسم منهما، فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ....﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٧٦-٨٠].

فجدير بطالب العلم أن يتخلق بأخلاق الذين أوتوا العلم، وأن لا يتخلق بأخلاق الذين يريدون الحياة الدنيا، وليعلم الطالب أن أنبياء الله ورسله كثيراً ما

عاشوا فقراء أهل حاجة وخصاصة، وكذلك الصالحون، وبعض قليل كانوا أهل غناء وثروة، وقليل ما هم.

فإذا كنت أيها الطالب تعاني من قسوة الفقر وشدته فاعلم أنها سنة الله في الصالحين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من المؤمنين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

واعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يرض بالدنيا لحقارتها، ثواباً لعباده الصالحين، فمتاعها قليل، وعمرها قصير، وما نال أحد فيها نعمة إلا بفراق نعمة أخرى، وما حليت لأحد من جانب، إلا تنغصت عليه من جانب، فصفوها مكدر، وحلاوتها مرة، وسعادتها قلق ونكد، وكل شيء فيها إلى زوال، وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال للدنيا؛ لئلا نغتر بها، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ...الآية﴾ [الكهف:٤٥] إلى غير ذلك كثير في القرآن الكريم.

وليعلم الطالب للعلم أنه لن ينال من الدنيا إلا ما كتبه الله له، فلا يكثر التلهف على ما فاته منها، ولا يحزن لقلة ما قسم الله له منها.

فالأولى بالمؤمن وطالب العلم أن يكون راضياً بما قسم الله له منها، شاكراً لربه، وكثير الحمد لخالقه ورازقه.

وليعلم أن الله تعالى حكيم عليم بمصالح عباده، وقد أخبرنا تعالى عن مقتضى حكمته في الأرزاق، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

قد تكتب الأقدار على البعض صنوفاً من البلاء ربما انتهت بمصارعهم، وليس أمام الإنسان إلا الصبر والتسليم لما قضاه العليم الحكيم، غير أن الإنسان هلوع وجزوع، يعظم دهشه إذا لاقته المصائب، أو نزلت به الكوارث، وتضيق عليه الأرض بما رحبت، فيحاول أن يخرج من حالته في أسرع وقت، وهذه محاولة فاشلة؛ لأنها مخالفة لما جعل الله أمر الدنيا عليه، فالأولى أن يُصَبِّرَ الإنسانُ نفسَه ويُمرِّنَها على طول الانتظار، وفي الحديث: سئل رسول الله ﷺ، أي الناس أشد بلاءً؟ ((قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه خف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)) [ابن حبان].

٣ـ **عدم الفهم**: قد تمر أيام كثيرة على الطالب، وهو متفرغ لطلب العلم ومجدٌّ في ذلك، فيرى زملاءه أو الطلبة من حوله قد استفادوا وتفتحت لهم أبواب الفهم، بينما هو على العكس منهم، لم يحصل على كثير فائدة، وما زالت أبواب الفهم مغلقة في وجهه، فربما حدث نفسه بترك طلب العلم لذلك.

فنقول له: أيها الطالب لا تترك طلب العلم، ولا تيأس من روح الله وفضله، واصبر على الطلب، وأكثر من الدعاء والاستغفار والتوبة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، واعلم أن ما تحدثك نفسك به من ترك طلب العلم إنما هو من حديث الشيطان ووساوسه، فاصبر فإن الفرج مع الصبر، ولن يخيب الله عباده المخلصين التائبين، وعن قريب يفتح الله عليك أبواب الفهم الموصدة، ويشرح صدرك بأنوار العلم والحكمة.

ولقد بلغنا عن شيخ الأئمة القاضي عبد الله بن علي الغالبي، ذلك العالم الكبير، والبحر الغزير، ذي الفضل الشهير، رحمه الله تعالى، أنه كان يطلب العلم في الجامع الكبير في صنعاء مدة سنة كاملة، فانتهت السنة ولم يعرف ما هو حرف العطف، ولكنه لم يصده ذلك عن طلب العلم، فواصل الطلب وصبر وجد واجتهد، حتى فتح الله عليه أبواب الفهم والعلم، فصار فيما بعد شيخ الأئمة، ومرجع الأمة، ثم هاجر رحمه الله تعالى من صنعاء لما كثرت الفتن هناك إلى ضحيان، فنشر العلم في هذه البلاد الشامية، وقد كاد أن يضمحل، فجزاه الله خير الجزاء، وأثابه المثوبة الحسنى في الدنيا وفي الأخرى.

فلا تيأس أيها الطالب من رحمة الله وفضله، فإن طلب العلم فريضة، ولا تكن الرابع فتهلك، واعلم أنك في سبيل خير ما دمت في طلب العلم.

*****

الكبر

وعلى طالب العلم أن يطهر قلبه من الكبر، فإنه أحد أسباب عدم الفهم، وقد اخبر الله تعالى أنه سيجازي المتكبرين بأن يصرفهم عن فهم آياته، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...الآية﴾ [الأعراف:١٤٦].

والكبر يتمثل في رد الحق ودفعه وعدم الرضا به، كما يتمثل في احتقار الناس وازدرائهم، فعلى طالب العلم خصوصاً أن يوطن نفسه، ويعقد عزمه ونيته على قبول كل ما جاء من عند الله ورسوله، وأن يلين جانبه للناس، فإذا قبل الحق أياً كان

وألان جانبه للناس فهو من المتواضعين.

وفيما قصَّ الله تبارك وتعالىٰ من تكبر إبليس ثم طرده من رحمة الله إلىٰ لعنته أكبرُ العظات لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

وهناك مزالق قد تزل فيها الأقدام، فليتحذر الطالب من أن تزل فيها قدمه، وسأذكر واحداً من تلك المداحض؛ لما له من الأهمية، وهو: حب أهل بيت النبي ﷺ، ومتابعتهم، وموالاة وليهم، ومعاداة عدوهم، والقول بفضلهم، فقد أوجب الله تعالىٰ ذلك في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان رسوله الكريم ﷺ.

فالطالب قد يشمئز من بعض ذلك ويأنف -وهي طبيعة البشر- غير أن المؤمن يؤثر رضىٰ الله تعالىٰ علىٰ رضىٰ نفسه، ويقبل أحكام الله تعالىٰ التي جاءت في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ ويقول: سمعنا وأطعنا.

*****

كتمان المصيبة

إن مما يجدر بالمؤمن كتمان المصائب النازلة به، وأن لا يبدي صفحته لمخلوق، وقد حرم الإسلام الهوان والذلة والضعة، فقد جاء في الرواية عن النبي ﷺ: ((من أصبح حزيناً علىٰ الدنيا أصبح ساخطاً علىٰ ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله تعالىٰ، ومن تضعضع لغني لينال مما في يديه أسخط الله...الحديث)).

وروي عنه ﷺ: ((من جلس إلى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار)).

فاللائق بالمؤمن أن يتماسك على ما به من مصيبة حتى تنجلي، دون أن يذل لأحد ولو كان أخا ثقة، وقد روي في الحديث: ((من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا)).

فالأدنى إلى الحق، والأقرب إلى النفع، والأرشد في علاج المشاكل، أن يظل المسلم منتصب القامة، مرتفع الهامة، لا تدنيه حاجة، ولا تطويه شدة، يجأر إلى مولاه بالدعاء، ويكشف انكساره لربه وحده، فلا يبدي صفحته لمخلوق، قد فقه قول الله تعالى له: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

*****

من خلق المسلم

إن الناس يذلون أنفسهم ويقبلون الدنية في دينهم ودنياهم لواحد من أمرين:

إما أن يصابوا في أرزاقهم أو في آجالهم، والغريب أن الله تعالى قد قطع سلطان البشر على الآجال والأرزاق جميعاً، فليس لأحد إليهما من سبيل، فالناس من خوف الذل في ذل، ومن خوف الفقر في فقر، مع أن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الصلة بالله تعالى فيما ينوب، واليأس من الناس فيما لا يملكون فيه على الله شيئاً، ولا يقدمون نفعاً ولا ضراً.

وهذه فوائد متفرقة تتناسب مع ما نحن فيه، فتابعها:

الفائدة الأولى: فيما ينبغي الاهتمام به أولاً:

زيادة في الفائدة أحب أن أوجه الدارسين إلى الأهم الذي يجب أن يصرفوا عنايتهم إليه في أول الطلب، فالذي يلزم الطالب المكلف في المرحلة الأولى أن يوجه عنايته:

أولاً- إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وذلك بالقراءة في كتاب العقد الثمين، أو سبيل الرشاد، أو الثلاثين المسألة، وفي هذا كفاية لأهل المرحلة الأولى.

وثانياً- بمعرفة الطهارة والصلاة، ويكفي في ذلك كتاب الطهارة والصلاة.

وثالثاً- قراءة الفاتحة وما تيسر معها من قصار السور، ويكون ذلك بحفظ متقن.

وهذه الثلاثة لابد من معرفتها وتحصيلها لكل مكلف، وهي من فروض الأعيان، فإذا أتقن الطالب هذه الثلاثة، فليتخيرْ له مُدَرِّسُهُ الكتب المناسبة لعقلية الطالب وذكائه، وفي هذه المرحلة -أعني الأولى- ينبغي أن لا يشتغل الطالب بغير تلك الدروس، فلا يدرس في الأجرومية أو نحوها حتى يتقن دراسة ما ذكرنا، وذلك لأن تلك الثلاثة معرفتها وإتقانها فريضة واجبة على كل مكلف، والأجرومية ونحوها ليست كذلك.

الفائدة الثانية: في أهمية دروس الترغيب:

من المهم أن لا يفرِّط الأساتذة في دروس الترغيب والترهيب، فإنها من الدروس الهامة جداً لكل مسلم، وخصوصاً لطلبة العلم، وذلك مثل كتاب كنز

الرشاد وشرحه، وكتاب الأربعين السيلقية للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، ونحو ذلك من الكتب الموضوعة في الترغيب والترهيب، وهي كثيرة، وكثير منها مطبوع، فينبغي تقرير درس كل يوم، فإن في ذلك حياة القلوب وطهارتها، وتجديد النشاط.

الفائدة الثالثة: في الاعتناء بترسيخ العقيدة:

على المدرس أن يهتم بترسيخ العقيدة الحقة في نفوس الطلبة، ولا يقتصر على ما في الكتاب، بل عليه أن يبين ويشرح ويوضح محاسن المذهب الزيدي، ويبين للطلبة ما في مذهب أهل السنة ـ كما يسمون أنفسهم ـ من مخازي، مثل قولهم: إن الله هو الذي خلق أفعال العباد -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- ومثل قولهم بالخروج من النار، والشفاعة لأهل الكبائر، ورؤية العلي الكبير ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ، ثم يوضح ويبين أن أهل البيت هم أهل الحق بالأدلة، ويكثر الشرح في ذلك والأدلة، فإن الحال تستدعي ذلك.

الفائدة الرابعة: في الاعتناء بمقام أمير المؤمنين:

على المدرس أن يشرح ويوضح للطلبة أن علياً عليه السلام وصي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته، وأنه أفضل الأمة بعده، وأنه أولى الناس بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يوضح ذلك لهم بالأدلة، فإن لم يكن المدرس حافظاً للأدلة. فليستصحب معه كتاب لوامع الأنوار الذي ألفه وجمعه مولانا وشيخنا الحجة، سيد أهل البيت مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى، ثم يقرأ لطلبته تلك الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويفسرها لهم، فإن معرفة حق أمير المؤمنين من تمام الإيمان كما ذكره الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام في مقدمة الأحكام، ولا يحق للمدرس أن يقتصر على

ما في العقد الثمين ونحوه، فإن الوقت بما فيه من الفتن والخلافات يستدعي أكثر مما في العقد الثمين وسبيل الرشاد، وفقكم الله وإيانا.

الفائدة الخامسة: الدعوة إلى التحذير من كيد المخالفين:

على المدرس أن يحذر الطلبة من المكائد والحيل والشبه التي يتصيد بها المخالفون للزيدية قلوب الناس، فعليهم أن يزودوهم بالمعلومات التي تحفظهم من الوقوع في حبائل حيلهم ومكائدهم وشبههم، فإن ذلك من النصيحة التي دعا إليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحث عليها، بل إن الله تعالى قد جعل النصيحة مقارنة للإيمان، وجعلها أحد الخصال الأربع التي تقي من الخسران في سورة العصر، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

الفائدة السادسة: الاستفادة من وقت الفراغ:

على الطلبة الكبار والمعلمين في وقت الفراغ، ووقت العطلة، أن يشغلوا بعض وقتهم في مطالعة الكتب المفيدة؛ فإن في ذلك فائدة عظيمة، وسأعدد لك بعض الكتب التي أنصح بالمطالعة فيها:

لوامع الأنوار، التحف شرح الزلف، مجمع الفوائد، المراجعات، النص والاجتهاد، كشف الارتياب، النصائح الكافية، مقاتل الطالبيين، مقتل الحسين، الإفادة، مصابيح أبي العباس، تفسير أهل البيت، الغدير، شرح نهج البلاغة، الأحكام، سيرة الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، الحدائق الوردية، الشافي.

فبالمطالعة سوف تترسخ العقيدة، وسيفيد المدرس الطلبة بفوائد كثيرة، فلا ينبغي أن يفرط الإنسان في وقت يمكنه أن يستفيد منه، قال الشاعر:

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـ ـم فما أبتغي سواه أنيسا

الفائدة السابعة: في ثواب الإرشاد والدعوة إلى الله:

الطالب إذا كان قد حفظ القرآن وكان على بصيرة في العقيدة، قد قرأ سبيل الرشاد، والعقد الثمين، وعرف أبواب الطهارة والصلاة، وشيئاً من سائر الفقه في الأزهار، فالأولى له إذا طلبوا منه الإرشاد أن يرشد، ولا ينبغي له أن يتعذر بطلب العلم، وقلة تحصيله، فإن العلم -إن أراد العلم- في الدعوة إلى الله تعالى والإرشاد لعباده، فإن الله سبحانه وتعالى جعل العلم والحكمة جزاءً لعباده المحسنين، فقال سبحانه في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف] والمعنى أن الله تعالى قد أعطى يوسف العلم والحكمة حين كبر وبلغ مبالغ الرجال، ثم أخبر تعالى أن مثل هذا العطاء الذي أعطاه يوسف يعطيه للمحسنين جزاءً على إحسانهم، فهذا خبر من الله تعالى، ووعد للمحسنين بالعلم والحكمة جزاءً على إحسانهم.

والدليلُ على أن المرشد داخل في زمرة المحسنين الموعودين بالعلم والحكمة قولُ الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

وقد جرت سنة الله تعالىٰ بأن الجزاء يكون من جنس العمل، ومن هنا يقول الله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وفي الحديث المروي: ((عِفُّوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم)) ((مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ)) ...إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث المروية عن النبي ﷺ.

غير أن حصول ذلك مرهون بخلوص النية وصلاح الفؤاد لله رب العالمين، فليحذر المسلم من أن يخالط نيته ما يكدرها، فإن الله تعالىٰ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

الفائدة الثامنة: في التحذير من الإفتاء:

قد تتوارد علىٰ المرشد كثير من الأسئلة والاستفتاءات، فالذي نرىٰ له وننصحه به أن لا يقدم علىٰ الفتوىٰ، ولكن يسجل المسائل المحتاج إليها، ثم يسأل عنها العلماء، فيكون بذلك قد أفاد السائلين، وسلم من تبعات الفتوىٰ.

وهناك مسألة في الزكاة، وهي: أن الزكاة تجب في كل ما أخرجت الأرض من المكيل سواءً بلغ النصاب أم لا، وقد عمل بهذا المذهب أهل بلادنا خلفاً عن سلف، وتقلدوه والتزموه، فلا ينبغي أن يخطئهم المرشدون، بل اللازم علىٰ المرشدين أن يقرروهم علىٰ مذهبهم، وأن لا يخطئوهم، فإنها مسألة خلافية قد التزموا فيها أحد القولين، والمقرر للمذهب أنه لا يجوز الخروج من ذلك إلا إلىٰ اجتهاد نفسه أو ...إلخ علىٰ حسب ما هو مذكور في مقدمة الأزهار، فلا ينبغي أن يشوش المرشد علىٰ الناس.

الفائدة التاسعة: في التسهيل والتيسير:

اللازم على المرشد أن يسهل التوبة على من يسأل عنها، فيحث التائبين على العمل فيما يستقبل، ولا يلزمهم بقضاء الصلاة والصيام وزكاة الماضي، فإن ذلك قد يثقلهم عن التوبة، ويثبطهم عن الرجوع إلى طاعة الله وتقواه.

وهم إذا رسخت في نفوسهم خشية الله، وتمكنت فيهم فسوف يبادرون إلى التخلص من ذلك، فإن سألوا المرشد عن الحكم في ذلك، فالأولى به أن يحولهم إلى العلماء الكبار، فيفتوهم بما يلزم، وبما يخلصهم عند الله تعالى، فالمسألة فيها خلاف، وفيها قول غير ما في الأزهار.

الفائدة العاشرة: حق العلماء المحقين:

على المرشد أن يربط الناس بالعلماء، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء - كما في حديث المجموع للإمام زيد بن علي عليهما السلام، فيحبب إليهم العلماء، ويذكر لهم فضائلهم وورعهم، ويحدثهم بما يعرفه عن العلماء.

ثم يحذرهم من العلماء المخربين إن اقتضى الحال ذلك، وإلا اكتفى بذكر العلماء المحقين، والتحذير من مخالفتهم، وكذلك ممن يخالفهم على الجملة؛ فإن معرفة العلماء المحقين من أهل البيت فريضة واجبة كمعرفة القرآن، ومن هنا يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين المتواتر المعلوم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض))، ويشرح ويوضح لهم هذا الحديث ومعناه.

وكذلك الحديث المعروف بحديث السفينة، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))، فإن ذلك من أصول الدين الذي يجب معرفته على جميع المكلفين.

ويشرح ويوضح أن الزيدية هم الذين يتمسكون بأهل البيت ولا يخالفونهم، ويوضح لهم من هو المقصود بأهل البيت، فمثلاً في زماننا هذا يمثل أهل البيت المولى الحجة مجد الدين المؤيدي رحمه الله ومن معه من العلماء مثل: سيدي حسين بن يحيى الحوثي وإخوته وكل من تابعهم وسار في طريقهم سواءً كان من أهل البيت أو من شيعتهم فحكمه حكمهم.

الفائدة الحادية عشرة: في الاعتناء بمسائل الخلاف:

الاعتناء بتوضيح مسائل الخلاف الأصولية، وكثرة الشرح حول ذلك، والتكرير لذلك، وتوضيح أدلة تلك المسائل، وتكريرها في المجالس والمناسبات، وذلك مثل مسألة الرؤية، وأن الله ليس بذي مكان وكذلك الجبر والتشبيه، وأن الحق مع علي بن أبي طالب ومع أهل البيت، ومن الأحق بخلافة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتوضيح خطورة هذه المسائل وانهدام إسلام من خالف فيها.

وكذلك مسألة الشفاعة لأهل الكبائر، والخروج من النار، ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وأن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة.

فهذه المسائل على المرشد أن يوليها اهتمامه، وذلك لما يترتب عليها، والخطأ فيها ليس بيسير، وهي من أمهات مسائل أصول الدين، فلا ينبغي أن يقتصر المرشد على ما في العقد الثمين أو سبيل الرشاد، فالحالة تقتضي توضيحاً أكثر.

الفائدة الثانية عشرة: في شدة التكليف على النفس:

ليعلم المعلم والمرشد والطالب وكل مؤمن أن الله تعالىٰ قد بنىٰ التكليف علىٰ ما تكرهه النفس، وعلىٰ ما تنفر منه النفس، فالطاعات كلها مكروهة عند النفس، والمعاصي كلها محبوبة عند النفس، ولذا قال النبي ﷺ: ((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)).

غير أن التكاليف قد تتفاوت في الكراهة عند النفس، فبعضها أشق علىٰ النفس من بعض، والمعاصي قد تتفاوت محبة النفس لها، وهذا أمر معلوم عند كل مكلف، وبناءً علىٰ هذا فإن المكلف يحتاج إلىٰ جهد جهيد، ونية صادقة، وعزم قوي لكي يتمكن من امتثال أوامر الإسلام، ويمنع نفسه من معاصي الرحمن، وصدق الله العظيم حين قال حكاية عن يوسف في أحد تفسيرين: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

فالنفس إذاً تحتاج إلىٰ مجاهدة دائمة، وصبر متواصل؛ لتقبل أحكام الله تعالىٰ، وتحتاج مع ذلك إلىٰ التخويف لها بعذاب الله ونكاله، وإلىٰ الترغيب لها فيما أعد الله للمتقين في جنات النعيم، وإلىٰ استماع المواعظ والذكر ومجالسة الصالحين.

ولا بد من تكرير ذلك علىٰ النفس، ثم الاستعانة بالله تعالىٰ، وكثرة الدعاء والاستغفار، مع صدق النية وصلاح الطوية، فلن يخيب المرء، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما ورد في الأثر.

ومن التكاليف الشاقة على النفس في أمة محمد ﷺ تفضيل الله تعالى لأهل بيت نبيه ﷺ، والتكليف لهذه الأمة به، وإيجاب مودتهم ومتابعتهم، فهلك بسبب هذا التكليف الشاق من هلك، وسعد به من سعد.

وحقاً فإنه لن يقبل هذا التكليف إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان؛ لأن المؤمن الحق هو الذي يؤثر طاعة الله على هوى نفسه، ويؤمن بصدق وعده ووعيده.

ولقد طاشت لهذا التكليف عقول السابقين الأولين، وزلت له أقدامهم، وقاموا بسبب ذلك وقعدوا، ثم من بعدهم وإلى يوم الناس هذا امتنعوا من هذا الحكم الإلهي وتأبوا ودافعوا وعاندوا، ولم يكسبهم صنيعهم غير الهوان والخسران، والعاقل اللبيب؛ إذا عرف أن هذا الحكم من الله تعالى استسلم لحكم الله ورضي به، وعرف أنه لا طاقة له بحرب الله ومعاندة ربه ومخاصمة خالقه، فحظي بسعادة الدنيا والآخرة، أعزه الله في الدنيا ورفعه، وزاده حسن الذكر جزاء تواضعه وخضوعه واستسلامه لأحكام الله تعالى، هذا في الدنيا، أما جزاؤه في الآخرة فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.

هذا، وإذا نظرنا إلى ما هو السبب، وما هي الغاية التي أدت بالمتأبي ودفعته إلى رد مثل هذا الحكم الإلهي؟ فإنا نجد أن ذلك هو شعوره بأن في ذلك حطاً لكرامته، واستسلاماً للذلة والمهانة، فهو يتخيل أن قبوله لهذا الحكم اعتراف منه على نفسه بالمهانة والذلة والضعة والهوان، فهو يطلب من وراء تأبيه لنفسه الكرامة والرفعة والعزة، وفي الحقيقة أن ذلك مطلب حسن يطلبه كل عاقل، غير أنه أخطأ فطلب العزة من غير وجهها، فلم يحصل إلا على الهوان والمذلة والخسران، ولو عرف هذا

المتأبي قدر نفسه، وعرف قدر خالقه وما يستحقه من التعظيم والطاعة، وعرف صدق ثوابه وعقابه، لم يقع فيما وقع فيه، ولحصل على العزة المطلوبة والكرامة والرفعة، ولنال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

الفائدة الثالثة عشرة: في معرفة الإنسان لقدر نفسه:

وهذه الفائدة تكميل للفائدة التي قبلها، وهي في معرفة الإنسان لقدر نفسه، وفي معرفة ذلك فائدة كبيرة، ففي الأثر: ((من عرف قدر نفسه لم يهلك)).

العاقل لا يتجاوز بنفسه المنزلة التي وضعه الله فيها، وجعله عليها، فالإنسان عبد من عبيد الله، خلقه الله وسواه، وغمره بنعمه التي لا تحصى، ثم أخبره على ألسنة رسله بالسبب الذي خُلِق من أجله.

فمن عرف أنه عبد لله، ومملوك له جل وعلا، وأنه في قبضة قدرة الله، وأنه ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وأنه في حاجة إلى رحمة الله وفضله ورزقه وعنايته ورعايته وحفظه وألطافه، وعرف أن بطش الله شديد، وأخذه أليم، وأنه لا طاقة له بذلك، وأنه لا يقيه من ذلك إلا الاستسلام والطاعة، إذا عرف الإنسان ذلك فإنه لا يورط نفسه فيما يوبقها، ولا يتجاوز الحدود التي حددها له سيده العلي الكبير.

الفائدة الرابعة عشرة: في الطريق إلى السلامة:

وهي في تتميم ما قبلها: الإنسان قد يكون على تمام المعرفة بقدر نفسه، وبما يجب لله تبارك وتعالى من التعظيم والطاعة، غير أنه قد يعتريه النسيان، وتستولي عليه

الغفلة، فتستفزه نفسه الأمارة بالسوء فتحمله على الحسد والعجب والكبر، وتورطه في الجرائم واقتراف المآثم.

والطريق إلى السلامة من ذلك هي ذكر الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والصلاة -كما روي- فرضها الله لإقامة ذكره، فالذكر هو الذي يقيد النفس، ويكبح جماحها، فإذا حدثت الإنسان نفسه بمعصية الله فليذكرها بقدرة الله وبعذابه ونكاله وما أعده للعاصين، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف] فتذكر عظمة الله وقدرته وعذابه وبطشه، مَطْرَدَةٌ لوساوس الشيطان وهماهم النفس الأمارة بالسوء.

الفائدة الخامسة عشرة: مراعاة المشاعر:

على المرشد أن لا يصطدم بإمام القرية ومؤذنها إن كان، وأن لا يقلل من معنويتهما، وأن يستبقي مودتهما ويوليهما جل احترامه.

وإذا كان عندهما بعض الأخطاء فليعلمهما بلين وبرفق وحدهما وبعد تفرق الناس، أما بين الناس فلا ينبغي ولا يصلح، وكل هذا من أجل المصلحة في بقاء الإرشاد سليماً من المعارضة والمقاومة، هذا هو الأرجح، وإن كان الواجب تقديم الأقرأ والأفقه، غير أن الواجب إذا عارضته مفسدة راجحة كان الأولى والأرجح درء المفاسد، وهذه قاعدة أصولية قضت بها العقول، وأطبق عليها أهل الأصول.

الفائدة السادسة عشرة: في التزام الوصية:

على المرشد في أي بلاد كان، أن لا يتجاوز وصية العلماء، وذلك بأن لا يتدخل فيما لا يعنيه، فلا يتدخل في الترويج لمرشح دون مرشح، ولا يستغل وعظه في التنقيص من الحزب الفلاني والتشجيع للفلاني.

اللازم عليه أن يتقيد بالمهمة التي هو فيها، وذلك تعليم الناس معالم الدين وتذكير الخلق بوعد الله ووعيده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ۝٧١﴾ [الأحزاب].

الفائدة السابعة عشرة: في الأدب النافع:

إذا كان أهل المحلة بيوتات شتى، وأهواءهم مختلفة، فمن الحكمة أن لا يظهر الميل إلى أحد البيوتات، بل يجعلهم في منزلة واحدة؛ فإنه إذا أظهر الميل إلى أحدهم حقد عليه الآخر، ولا ينبغي له أن يصدق بعضهم في بعض.

وعليه أن يظهر اهتمامه بكل منهم، ويكرر في المجالس أنه مرسل إليهم جميعاً، لا أنه مرسل إلى ناس من دون ناس.

وعليه أن يتحمل ويتصامم عن سماع كلام الجاهلين، ويصبر على أذاهم، فقد جاء في القرآن في وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فليلتزم المرشد بهذه الآداب الإلهية، ويتقيد بأدب القرآن إذا أراد النجاح في عمله، والوصول إلى مرضاة ربه وثوابه.

الفائدة الثامنة عشرة: في المرابطة:

إذا كان المعلم في محلة واستمر فيها وأقبلوا إليه وتعلموا وتفقهوا، فلا يدعوه ذلك إلى تركها بحجة أنهم قد تعلموا فقه الطهارة والصلاة، بل الأولى أن يستمر فيهم، وأن يوليهم جل اهتمامه، وأن ينتهز فرصة إقبالهم.

فإن حالت بينه وبينهم الأعذار التي قطعت عليه الاستمرار فيهم، فإن من اللازم عليه أن يتعاهدهم أسبوعياً أيام العطلة يذكرهم ويعظهم ويعلمهم ويرشدهم، فإن الشجرة إذا لم يتعاهدها صاحبها في أيامها الأولى بالسقي والعناية بها ذبلت ويبست وتفتت، وذرتها الرياح، وهكذا شجرة العلم التي يغرسها المرشدون.

الفائدة التاسعة عشرة: في التخفيف والتيسير:

مما يليق بالمرشد ويجدر به أن يخفف على الناس في وقت التعب أو وقت الشغل والضجر، فلا يطول في الصلاة والراتب، وأن يجعل ذلك على حسب الحال، ولا يؤخر صلاة العشاء، بل يصليها في أول الوقت، وذلك لما عليه أهل القرى والبوادي من التعب في النهار، ومن أراد القراءة فيمكن استدراك ذلك بعد صلاة العشاء، وكذلك ينبغي التخفيف في كل الصلوات، فإذا أحس بالرغبة فلا بأس، ولا ينبغي أن يستنكر على من يجمع بين الصلاتين، فيشدد في ما وسعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمن فعل ذلك قدوة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمسألة خلافية.

وعلى الجملة فالأولى بالمرشد الموافقة للناس والنزول عند رغباتهم، اللهم إلا فيما لا يتوافق مع الشريعة السمحة.

هذا، ومما يجدر به أن يهتم بأمورهم، وبصلاح دينهم ودنياهم، وأن يكثر من الدعاء لهم بصلاح دينهم ودنياهم، وبما فيهم، وبصلاح أولادهم وغير ذلك، ويجهر بذلك لهم، فإن ذلك سيكسب ودهم وقد قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال تعالى عن قربات الصالحين: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ [التوبة:٩٩] فعلى المرشد أن يتأدب بهذه الآداب القرآنية.

الفائدة العشرون: في ترك ما فيه ملامة:

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: (دع ما عند الناس استنكاره وإن كان عندك اعتذاره) قد يستنكر في بعض البلدان أن يذكر خطيب الجمعة بعد الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زيد بن علي، والقاسم بن إبراهيم، والهادي يحيى بن الحسين عليهم جميعاً السلام، فإذا كان الأمر كذلك فالأولى أن يترك ذكرهم خصوصاً، ويصلي عليهم عموماً بعد ذكر الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم جميعاً.

وينبغي له أن يتحسس قبل أن يخطب هل يذكرونهم أم لا؟ حتى لا يتوصلوا بذلك إلى الطعن في المرشد، ويستغل المفسدون بذلك الفرصة.

وينبغي أن لا يجعل المرشد هذا قاعدة عامة، بل المقصود أن يترك الشيء المستحب ونحوه، أما الواجبات المفروضة فلا ينبغي تركها، وإن حصل الاستنكار.

الفائدة الحادية والعشرون: في الحاجة إلى التذكير:

مما ينبغي أن يركز عليه المرشد لطلبته هذه المواضيع التي اشتمل عليها هذا الكتاب، فيذكرهم ويحذرهم ويكرر عليهم، ولاسيما ما يحصل بين الطلبة من الفتنة والاختبار، ويوجههم إلى ما يقيهم من ذلك البلاء ، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ...الآية﴾ [البقرة:٤٥]، وفي الحديث: كان ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة.

ويحثهم على الاستكانة لله، والخضوع له، وشدة الافتقار إليه تعالى، وإظهار الحاجة إلى الله تعالى في كل شيء، والتخلي من حول النفس وقوتها إلى حول الله تعالى وقوته، والاعتماد عليه، والتوكل في كل الأمور عليه، وطلب الحوائج من عنده، ويعتقد كل ذلك في قرارة نفسه، ويعرف أنه عبد لله ضعيف لا يملك إلا ما ملكه الله، ويوجههم إلى الإكثار من الدعاء، ومن الاستغفار، ومن الذكر لله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ، وعلى رأس ذلك طلب العلم وتعليمه ونشره، ويرشدهم كذلك إلى أبواب الخير، ويحذرهم من طرق الشر وخطوات الشيطان، ويحذرهم من كفران الذنوب، وهذا كله للطلبة خصوصاً ولغيرهم عموماً.

الفائدة الثانية والعشرون: في التسهيل على المبتدئين:

ينبغي على المرشد أن يتساهل مع الطلبة في البداية، فلا يشدد عليهم في التحصيل، والحفظ غيباً؛ لأن ذلك ربما كان سبباً لنفورهم عن طلب العلم، وكذلك يتساهل معهم في الأدب، فلا يشدد عليهم في الالتزام بالأدب والإذن والغياب

ونحو ذلك، ولا يعاتبهم على شيء من ذلك حتى إذا أحس برغبتهم في العلم علمهم الآداب تدريجياً على حسب الحال.

وكذلك يفعل المرشد مع الكبار فلا يعنفهم، ولا يشكي منهم عند أحد بالإهمال أو بعدم اهتمامهم وهم يسمعون، بل لا يذكرهم إلا بالخير والاهتمام، ويثني عليهم بما لا يخل بالصدق، فإن ذلك سوف يزيدهم إقبالاً عليه، ويزيدهم همة في تعليم أولادهم.

ومما يزيد في إقبالهم عليه أن يكثر من استشارتهم، وإذا أراد زيارة أهله أن يستأذنهم، ويعود مرضاهم، ويدعو لهم، وأن يعرف أسماءهم وبيوتهم، وأن يسأل عن الغائب ويدعو له، وأن يسلم عليهم ويصافحهم، وأن يشمت العاطس، وأغلب ذلك قد جاءت به السنة الصحيحة.

الفائدة الثالثة والعشرون: من سمَّعَ سمَّع الله به:

على المرشد إذا وصل بلدة -وقد كان فيها من قبل مرشد آخر- أن لا ينتقص ذلك المرشد الأول إما بالجهل، أو بعدم البصيرة في التدريس، أو بالإهمال سواء كان منه ذلك أم لم يكن، بل يثني عليه إن وجد مجالاً للثناء، وإلا فليسكت.

وقد يروي عنه أهل البلاد أنه قال كذا وكذا، وأفتاهم بكذا وكذا، فينبغي أن لا يتسرع المرشد إلى نسبة الغلط إلى ذلك المرشد الأول، وتنقيصه بسبب ذلك، فإن نَقْلَ العوام كثيراً ما يكون على غير الواقع، فأكثر ما تكون رواياتهم مبنية على الوهم والغلط.

وليحذر المرشد كل الحذر من ذلك، فإن النفس أمارة بالسوء، فإنه وإن كان قد أخطأ الأول فلا تُطَاوِعْ نَفْسَكَ في التنقيص منه، فقد تُحَدِّث الإنسانَ نفسُهُ بذم ذلك

المرشد الأول وتنقيصه، وقصدها في ذلك أن ترتفع، وتكسب المكانة عند الناس، وتنال الشهرة، وفي الحديث المروي: ((من سمَّع سمَّعَ الله به ..)).

هذا، ولن ينال الإنسان الرفعة والشهرة بما لا يجوز، بل سيعاقبه الله بنقيض قصده، كما في هذا الحديث وغيره من الأحاديث الكثيرة المروية عن النبي ﷺ.

الفائدة الرابعة والعشرون: في روح العبادة:

من المهمات في الإرشاد تعليمُ الصلاة والطهارة، وقد وضع لذلك كتب مثل: الأزهار، وعلوم الدين، وكتاب الطهارة والصلاة، وقد جمعت هذه الكتب كل ما يتعلق بالطهارة والصلاة، غير أنه بقي شيء لم يُذكر في هذه الكتب، وهذا هو ما أريد أن أنبه عليه في هذه الفائدة فأقول:

ينبغي بالإضافة إلى ما في تلك الكتب أن يعتني المرشد بتعليم المصلين معاني الصلاة، فيفسر لهم ألفاظ التوجه، ويحثهم على استحضار ذلك التفسير وتلك المعاني التي اشتمل عليها التوجه، وكذلك ألفاظ الفاتحة والسورة، وألفاظ التسبيح والتكبير والتسميع، وألفاظ التشهد، ويفسر لهم الحكمة في الركوع والسجود والقيام، ويعلمهم أن الصلاة لا تكون صلاة كاملة إلا بذلك، ويخبرهم أن ذلك هو كالروح للصلاة، وأن الصلاة بدون ذلك كجسد بلا روح.

فإذا لم يكن المرشد يعرف تفسير ذلك كاملاً فعليه بكتاب كنز الرشاد، فتفسير ذلك في أوله، وهذا هو الخشوع الذي مدح الله صاحبه في سورة المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]، فلا ينبغي أن يقتصر المرشد على ما في الأزهار، فإن الصلاة التي اشتملت على ما ذكرنا

من استكمال الطهارة واستكمال شروطها وأركانها وفروضها ومسنوناتها، واستحضر المصلي فيها معانيها، فإنها إن شاء الله صلاة مقبولة، تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وسينال صاحبها ما وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في كتابه الكريم.

غير أن ذلك مشروط بشروط خارجية، منها: خلوص النية لله رب العالمين لا يخالطها ما يفسدها من الرياء وحب الثناء، والوجاهة، أو نيل مقصد أو غرض.

وكذلك يشترط فيها أن يكون صاحبها ممن لا يفرط في زكاة ماله، فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبل الصلاة ممن منع الزكاة.

وأن يكون صاحب هذه الصلاة من التائبين، وقائماً بما أوجب الله تعالى عليه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

الفائدة الخامسة والعشرون: في معالجة العصبية:

غالباً ما يكون بين البيوتات منافسة ومحاسدة وعداوة باردة، وخصوصاً عند القبائل، أثارتها الحمية والعصبية، يرثها الأبناء عن الآباء، وقد لا يشعر بها المرشد ولا الغريب، فعلى المرشد أن يركز في مواعظه على الحسد والحقد، والوعيد على ذلك، وما ورد فيه في كتب المواعظ، ويركز على حرمة المؤمن، ووجوب المؤاخاة والمحبة والمودة بين المؤمنين، ويذكر الوعيد الشديد في ترك ذلك، ويذكر ما يرغب في ذلك من الثواب الجزيل، ومن الحسن أن يقرأ لهم ما ورد في ذلك، وما يتعلق بذلك في كتب الوعظ والإرشاد، مثل كنز الرشاد وشرحه، والصفوة، وشرح الأربعين ونحوها.

وأقصد أن يقرأ الأبواب التي لها علاقة بما ذكرنا، وأن يتتبع الأبواب المفيدة في ذلك، ولا يفرط في هذا الموضوع في أي موعظة أو خطبة جمعة، فإن هذا الداء مما لا يكاد تخلو عنه قبيلة، وعليه أن يُعَلِّمَ الطلابَ الأُخُوَّةَ الإسلامية، وأن يزيل من نفوسهم تلك العقدة الجاهلية، والله الموفق والهادي.

الفائدة السادسة والعشرون: الدعوة إلى العلم والعمل:

مما ينبغي أن يوجهه المرشد إلى الناس أن يعلموا أن الساعي على نفسه وأولاده وأبويه من الموعودين بالثواب الكبير، كما رواه الإمام زيد بن علي وغيره، وأنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، غير أنه مطالب بطلب العلم، ومُطَالَبٌ بتعليم أولاده، فإن وُجِد المرشدُ في المحلة وجب على أهل تلك المحلة جميعاً أن يتعلموا عند المرشد معالم دينهم، ثم يعلموا نساءهم ما تعلموه، وإن لم يكن في المحلة مرشد فإنه يلزم أهل تلك المحلة أن يبعثوا من أولادهم إلى أهل العلم ليتعلموا، وليعلموا أهاليهم إذا رجعوا إليهم، وقد قال الله تعالى في هذا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة].

ولا ينبغي أن نلزمهم جميعاً بالنفور لطلب العلم، فإن ذلك مما لا يتأتى، ولكن نرشدهم إلى اللازم وهو ما قدمنا.

الفائدة السابعة والعشرون: في العجب:

ينبغي الحذر من العجب والتحذير منه، وهو أن ينظر الإنسان إلى نفسه نظر الإعجاب بها والرضى عنها، أو أن يحكم لها بالزكاة والطهارة والعفة، أو يقول مقالة الراضي عن نفسه: قد قمنا بالواجبات واجتنبنا المحرمات، ظانّاً أن ذلك هو غاية

الكمال، أو نحو ذلك مما يدل على إعجاب المرء بنفسه والرضى عنها، وهذا الذي ذكرنا هو بعض أمثلة للعجب وليس بتحديد، قد يحصل مثل هذا عند الطلبة وعند المعلمين والمرشدين وعند غيرهم، وقد لا يخلو منه مسلم.

ومن مظان وقوع ذلك أن يكون الطالب أو المرشد في بلد فينظر فلا يقع بصره إلا على من هو أقل منه في التقوى بمراحل، أو على مفرط في فرائض الإسلام، أو مضيع لها، أو على غافل شديد الغفلة عن ذكر الله وطلب العلم، فيرى لنفسه منزلة ومكانة بسبب ذلك.

والذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن عند مثل هذه الحالة أن يتهم نفسه بالتقصير في طاعة الله، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢]، ويروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إن المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه عنده ظنون) أو كما قال، وظنون بمعنى مُتَّهَمَة، والمعنى: أن المؤمن لا يرضى عن نفسه أبداً، بل لا يزال المؤمن دائماً متهماً نفسه بالتفريط في حق الله، والتقصير في ذكره، فهو دائماً يلوم نفسه ويذمها على تفريطها وتقصيرها.

والسبب الذي يؤدي إلى الرضى عن النفس هو الجهل، ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والمقصود بالعلم هنا هو استحكام المعرفة بالله تعالى، وصدق وعده ووعيده، فإذا ملأَتْ عظمةُ الله قلب الإنسان فإنه لا يستكثر عمله، ولا يعجب به.

هذا، والعلم بالله تعالى ليس حكراً على الدارسين، بل ذلك مهيأٌ للدارس وغيره، والقارئ وغيره، والذي يُحصِّل المعرفة بالله تعالى وبما يجب له ثم الخشية منه شيئان اثنان هما: التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيما أنعم الله على الإنسان به:

الأول: التفكر في مخلوقات الله تعالى:

إن القرآن الحكيم قد لفت العقول والأذهان إلى الميادين التي يسرحون فيها أفكارهم نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...الآية﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...الآية﴾ [الطور]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس] وعلى الجملة فلا يقع بصر الإنسان على شيء إلا وفيه آية على وجود القادر العظيم.

ولله در القائل:

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كـــل شيء لـــه آيـــة ... تدل عـلى أنـه الواحـد

وكفى دليلاً بما في الإنسان من خلق عجيب يدل على القادر العليم، كيف وقد ملأ الله الكون بالآيات البالغات، والبراهين القاطعات، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] هذا هو الشيء الأول.

الثاني- النظر في نعم الله على الإنسان

كذلك قد ذكر الله عباده في كتابه بنعمه عليهم، ودعاهم إلى ذكرها، والنظر فيها مثل نعمة الخلق والسمع والبصر والفؤاد واللسان والشفتين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء]، ومثل نعمة الصحة والعمر والرزق والحفظ والكلاءة، ونعمة النساء والبنين والحفدة، وإلى ما لا يحصي عدها إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

نعم، فهذان الشيئان مقدوران لكل ذي عقل، وهما الطريقان إلى حصول العلم بالله وبما يستحقه من الطاعة والخشية، فعلى المرشد أن يوضح للناس طريق المعرفة بالله تعالى، وذلك بما ذكرنا من التفكر في المخلوقات، وتعديد نعم الله تعالى والتذكير بها.

الفائدة الثامنة والعشرون: في الصبر وذم العجلة:

قد يلقى المرشد في بعض البلدان إقبالاً واستجابة، وقد يلقى في بلد آخر خلاف ذلك، فلا يدعوه ذلك إلى الانصراف عنهم، بل الذي ينبغي أن يصبر ما استطاع، وأن يسعى في ذلك بسنن الأنبياء صلوات الله عليهم، فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومما حكاه الله عنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ

قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَابِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩...إلى آخر الآيات [نوح].

وقد عاقب الله نبيه يونس عليه السلام حين انصرف عن قومه عندما لم يستجيبوا له، فسجنه في بطن سمكة، ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ...الآية﴾ [القلم: ٤٨]، وقال تعالى له صلوات الله عليه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ...الآية﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الفائدة التاسعة والعشرون: في التحمل والصبر:

ينبغي أن يوطن المرشد نفسه على التحمل والصبر والتسامح، فلا يؤاخِذ على الكلمة الجافة، ولا يقابل الجلافة بالجلافة كيلاً بكيل، يداً بيد، ولا يزيد كما هو شأن الذين لا يعلمون، ولا يعنف من أساء الأدب، وخصوصاً إذا كان صادراً عن جهالة، ولا يكثر في عتاب من فعل ذلك، فإن ذلك مما ينفر القلوب ومن هنا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...الآية﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معلومة ومشهورة، فما كان صلى الله عليه وآله وسلم يقابل الأذى إلا بالإحسان، والقصص في ذلك معروف ومشهور، بل كان ذلك خلقه صلى الله عليه وآله وسلم حتى مع المشركين الذين يبالغون في أذاه فقد روي أنه قال

في أحد المواقف: ((اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون))، وقد روي عن أنس ما معناه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء لَمْ أصنعْه: اصنعه، وما قهرني ولا نهرني ـ أو كما قال-.

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه: ((سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر))، والمحفوظ من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما انتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، ولما قال له أعرابي جلف وهو يقسم الغنائم: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))، ((إن الله رفيق يحب الرفق كله))، ((من يحرم الرفق يحرم الخير كله)).

وروي أن أول خطبة خطبها صلى الله عليه وآله وسلم يوم دخل المدينة: ((أيها الناس أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وألينوا الكلام، وصِلوا الأرحام، وصَلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا جنة ربكم بسلام)).

وفي وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام وكان هو الناصح الشفيق: (يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك...إلى أن قال: ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك).

فتهجين الناس، وهتك أستارهم، وتقبيح أفعالهم، وذمهم بسوء الأدب خلق ذميم، ونزغة من نزغات الشيطان الرجيم، ولا يعد ذلك من النصيحة، وليس بطريق للتعليم والتربية، فخير الهدي هدي محمد ﷺ، بل إن ذلك من أخلاق أهل الجاهلية التي حاربها الإسلام أشد المحاربة، قال شاعرهم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أين هذه الأخلاق الجاهلية من أخلاق الرسول ﷺ التي أدَّبه ربُّه بها في قوله تعالىٰ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فزيادةً علىٰ لين جانب النبي ﷺ وخفض جناحه أمره الله تعالىٰ بالعفو عن المسيء، والاستغفار لهم، ثم مشاورتهم لتطيب أنفسهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالعاقل قبل أن يتكلم بالكلمة ينظر فيها، ويزن غيره بنفسه، وهل يحب أن تقال له تلك الكلمة، فإن رضيها لنفسه خاطب بها غيره، وإلا فلا، وفي المثل الشعبي: (عس جلدك وجلد غيرك سواء).

وليس العلمُ والإرشادُ والمكانةُ في قلوب الناس، والاحترامُ والتقديرُ لأهلِ العلمِ والإرشادِ- ليس ذلك بمبرر للتشنيع بالناس وتقبيح آدابهم والتشهير بهم وهتك أستارهم، فالقبيح قبيح ممن كان.

نعم، التواضع والرفق واللين وحسن الحديث من أحسن الأخلاق وأرفعها، غير أنه من أهل الرئاسة والشرف والعلم أحسن وأرفع.

والبذاءة في الكلام وسوء الأدب قبيح، غير أنه من أهل الرئاسة والشرف والعلم أقبح وأقبح، ويزداد قبحه ويفحش إذا صدر عن أهل الدعوة إلىٰ الله والإرشاد في سبيل الله، فإن كان ذلك الأدب السيئ وتلك البذاءة مستعملاً في الدعوة كان ذلك أبعد، وقد ضرب الله تعالىٰ المثل للكلمة الطيبة وللكلمة الخبيثة في سورة إبراهيم فلا نطول بذلك.

فحسن الأدب في الحديث له منزلة كبيرة في الإسلام، تكرر الحث عليه في القرآن وفي السنة، والأولىٰ بأخذ هذا الأدب العالي أهلُ العلم وطلبةُ العلم والمرشدون والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ دينه.

ونقول: إن سوء الأدب والفحش في الكلام والبذاءة لا خير في ذلك البتة؛ لأن ذلك يؤدي إلىٰ مفاسد:

١ـ النفرة عن المرشد إذا كان شديد الجانب يحاسب علىٰ النقير والقطمير.

٢ـ المخالفة لتأديب الله تعالىٰ، والمخالفة لأدب النبي ﷺ.

٣ـ مقت الناس وذمهم لمن كان كذلك.

ولا أدري ما هي المكاسب التي يتطلبها المرشد بالبذاءة والاسترسال في الأعراض؟ والتهجين لهم؟ ربما أنه يقصد من وراء ذلك أن يوصف بالشدة والقوة والمهابة عند محبيه وشيعته وغيرهم.

ولكن ذلك خلاف ما وصف الله به المتقين في قوله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ...الآية﴾ [الفتح: ٢٩]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...الآية﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا كان هذا يطلب من وراء ذلك السيادة والشرف فهذا ليس من مظانها، فقد قيل: ما ساد إلا حليم، فالحلم والصفح والعفو من مقومات السيادة والشرف التي لا تحصل إلا به، وهي الصفة التي لفَّ الناسَ بها النبيُّ ﷺ، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فلولا هذا الخلق العظيم لنفر الناس عن النبي ﷺ، وانفضوا من حوله، وقال أحد الشعراء وهو العباس بن الأحنف:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوىٰ ... يفارقك من تهوىٰ وأنفك راغم

وقال الآخر، وهو أبو سليمان الخطابي:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... وأبق فلم يستوف قط كريم
فسامح ولا تستوف حقك كله ... كِلَا طَرَفَيْ قصد الأمور ذميم

ولا يغتر المرشد من تحمل الناس له وسكوتهم، فما ذاك إلا أنهم أكثر منه تكرماً، وأفضل أدباً، وأوسع حلماً.

والمفروض أن يكون الأمر على العكس من ذلك فالله المستعان، ومنه تعالى نستمد الإعانة والتوفيق والتسديد، إنه ولي ذلك.

الفائدة الثلاثون: العلم للناس جميعاً:

على المرشد أن يلقي في روع الناس وأهل البلد التي هو فيها أن العلم موضوع للناس جميعاً، للكبار والصغار، وللقارئ وغير القارئ.

وأن العلم ليس بحاجة إلى القراءة والكتابة أو صغر السن، وأن الشيء الذي يحتاج إليه العلم هو شيئان اثنان: أحدهما العقل والثاني السمع.

وأن التعلم فريضة واجبة على كل مسلم عاقل سامع، فالعقل لابد منه، وكذلك السمع؛ لأنه لا يمكن أن يعرف ما يقال إلا به، إذا توفر في الإنسان هذان الشيئان فطلب العلم واجب سواء كان صغيراً أم كبيراً، قارئاً أم غير قارئ، ذكراً أم أنثى.

أما من كان أصم لا يفهم ما يقال، فلعل الله تعالى يعذره؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، فعلى المرشد أن يحث الناس جميعاً على العلم كلاً على مستواه، فأهل الذكاء والقراءة والكتابة بالطريقة المعروفة، والكبار بالاستماع، وكذلك أهل الشواغل والتقصير- يهمهم ويحثهم على الاستماع على الأقل، ويجعل ذلك في أوقات فراغهم.

الفائدة الحادية والثلاثون: التفاوت في الذكاء:

قد يكون للمرشد عدة من الطلبة، يستمرون في الدراسة، وربما كان بعضهم من أهل الذكاء والرغبة والقدرة على دروس أكثر، عند ذلك يلزم المرشد أن يزيد هؤلاء

الأذكياء دروساً إضافية، ويعتني بهم عناية خاصة، ويحملهم من الدروس ما قدروا عليه.

ومن الخطأ في الرأي والخطل في التدبير أن يقتصر بهم على تلك الدروس العامة مع قدرتهم على أضعافها، ومع سعة أفهامهم، ورغبتهم الكبيرة، وإذا كان للمدرس عدة من الطلبة، فإنهم لا يكادون يخلون من أهل الذكاء وجودة الفهم، فإذا كان الأمر كذلك فإنه لا ينبغي أن يفرط فيهم ويضيع وقته ووقتهم، فإن الذكي الحريص قد يستفيد من العلم في شهر أكثر مما يستفيده غيرُ الذكي في سنة.

هذا، والذي حملني على خط هذه الفائدة أنني رأيت في بادية بعض الأذكياء الراغبين أشد الرغبة في العلم، وسألناهم عن المقروآت فإذا مقروآتهم لا تتجاوز العقد الثمين في عدة أشهر، عند ذلك استأت من ذلك وسألت عن السبب؛ فقالوا: الأستاذ يدرسنا مع زملائنا دروساً على مستوى زملائنا، ولا أمكن مطالبة المدرس بزيادة الدرس؛ لأن زملاءنا لا يتحملون ذلك، فاضطررنا إلى مسايرتهم وتصغير الدرس.

فمن هنا رأيت من اللازم على المرشد أن يخص الأذكياء من طلبته بدروس إضافية زيادة على الدروس العامة، ويعتني بهم عناية خاصة، ويوليهم جل عنايته، ولو لم يكن للمرشد إلا تلميذ واحد من أهل الذكاء والحرص والرغبة والدين لكان أهلاً لبقاء المرشد من أجله، وفي المثل النبوي: ((الناس كإبلٍ مائةٍ لا تجد فيها راحلة))، وفي المثل الشعبي: (مائة بواحد وواحد بمائة).

فإذا صادف المرشد في أي محلة واحداً كما وصفنا، فقد حصل على البغية المنشودة، وعلى الغرض المطلوب، وكان الحال مع ذلك كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عيناً بالإياب المسافر

وذلك لأن من كان كذلك، فإنه مؤهل لحمل العلم وإصلاح البلاد والعباد، وقد قال الشاعر في ذكر مقومات العلم التي لا يحصل إلا بها:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ   سأنبيك عن تأويلها ببيان
ذكاءٌ وحرصٌ وافتقارٌ وغربةٌ   وتلقين أستاذ وطول زمان

الفائدة الثانية والثلاثون: موقف المؤمن من العصاة:

إذا كان المرشد في أي بلد، وكان في ذلك البلد بعض من أهل الفسوق والعصيان، فلا ينبغي أن ينفر منهم، بل اللازم عليه أن يظهر الحفاوة لهم والاحترام، والأخلاق الطيبة، ويجلس معهم، ويتلطف لهم ويتلين، ثم يعظهم، ولكن بعد أن يحس منهم بالاحترام له والتقدير، وفي ظني أن التلين لهم واستعمال الأخلاق الطيبة هو الذي سيجرهم إلى التوبة والإقلاع.

فبالأخلاق العظيمة جر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس إليه، وجذبهم إلى محبته والدخول في دينه صلى الله عليه وآله وسلم، وتماماً كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن هنا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، فهذا هو الواجب على المتصدي للإرشاد.

فإن قلت: إن المعروف في حق أهل المعاصي هو المقاطعة، وإظهار العداوة كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...الآية﴾ [المجادلة: ٢٢].

قلت، وبالله التوفيق: المسألة مع أهل الفسوق والعصيان ذات حالات:

الحالة الأولى: هو ما ذكرناه في أول هذا المبحث.

الحالة الثانية: بعد أن تمر المرحلة الأولى، ويطبقها المرشد بما في ذلك استعمال المواعظ، هنالك قد يستحي هذا الفاسق، ويظهر الإقلاع والتوبة، وإن لم يكن في الواقع كذلك.

الحالة الثالثة: أن يقلع ويتوب حقاً ظاهراً وباطناً، وتظهر عليه علامات ذلك.

الحالة الرابعة: أن يكف هذا الفاسق من التظاهر بالعصيان ولا يظهر التوبة والإقلاع، ولكنه قد استحيى، فكف ظاهراً، وأبدى احترامه للمؤمنين، ولم يعاندهم، ولم يعادهم، ولم يقف في طريقهم.

الحالة الخامسة: أن لا يكف هذا الفاسق عن فسوقه، بل ما يزال يتظاهر بالعصيان، بعد التلين له والتلطف له، وبعد كل ما ذكرناه في أول المبحث، فهذا هو الذي تجب معاداته ومقاطعته حتى يقلع عن فسوقه وعصيانه.

فهذه خمس حالات يفترض حصولها، ولكل حالة حكم، ففي الحالات الأربع الأول، لا تنبغي المعاداة والمقاطعة، وفي الحالة الخامسة تنبغي المعاداة والمقاطعة حتى يقلع ويتوب.

والدليل على كل ما ذكرناه، أما في الأولى فقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وسنة النبي

ﷺ وسيرته في الدعوة إلى الله تعالى، والظاهر أنه إجماع أهل البيت عليهم السلام، فإنهم قد قالوا: إنه لا يجوز أن يشادد أهل المنكر إلا بعد فشل اللين، وعدم نجاحه في تغيير المنكر.

وأما في الثانية: فسيرته ﷺ في المنافقين وسنته معهم، فإنه ﷺ لم يكاشفهم العداء، وإن كان القرآن قد كشف ثوب الستر عن بعضهم، غير أنه قد بقي كثرة كثيرة لم يكشفهم القرآن ولم يفضحهم، ومنهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ...الآية﴾ [التوبة: ١٠١]، وهؤلاء أجرى عليهم النبي ﷺ حكم المؤمنين.

ولعل السر في كشف الستر عن بعضهم هو أنهم كانوا يمكرون بالنبي ﷺ في الخفاء، ويكيدون للإسلام سراً، ويتعاونون مع أهل الكتاب في السر.

أما بقية المنافقين الذين لم يكشف لهم القرآن ستراً، وأجرى عليهم النبي ﷺ حكم المؤمنين في الظاهر، فهم الذين لبسوا ثوب الإسلام على إغماض، وعلى غير رضا به، غير أنهم لم يمكروا ولم يكيدوا كغيرهم، فهؤلاء قد أجرى الإسلام عليهم حكم المؤمنين.

ونحن أجرينا من ذكرنا في الحالة الثانية مجراهم، وجعلنا حكمه كحكمهم لعدم الفارق، بل لعل الحكم في الفرع أولى فتنبه.

ودليل ما ذكرنا في الحالة الرابعة، قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿٨﴾ [الممتحنة]، وكذلك سكوت أمير المؤمنين عن معاداة بعضٍ من أصحابه مع علمه بما هم عليه من العصيان، بما يظهر من فلتات ألسنتهم في مجادلتهم له ومحاورتهم معه، فإنه سكت عن المعاداة، وأجرى عليهم حكم المؤمنين حتى أعلنوا بالعداء، وجاهروا بالعصيان، وخرجوا عن الطاعة، ونزعوا أيديهم من يده، فعند ذلك عاداهم.

فهذا القسم الذي ذكرناه في هذه الحالة الرابعة لا تلزم مقاطعته ما دام على ما وصفنا من التستر، وعدم الوقوف في طريق الإرشاد.

الفائدة الثالثة والثلاثون: في الأسلوب الأمثل:

التلويح بالموعظة أبلغ في نفس العاصي، وإلقاؤها إليه من بُعْدٍ أنفع له، ولاسيما إذا لم يلتفت إليه الواعظ، ولم يظهر منه ما يدل على أنه يريده.

فينبغي أن لا يتعرض المرشد لوعظ شخص معين، ويحثه على ترك معصية معينة، ولكن يجعل الموعظة للناس عامة، ويحذر من المعاصي عموماً، ويذكر الوعيد، ويجعل تلك المعصية أحد ما يحذر منه، ويخصها بشيء من الزيادة على حسب مقتضى الحال، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم، وأسلوب النبي ﷺ.

فعلى المرشد أن يتخير الأنفع في الموعظة، والأبلغ والأرشد، وأن يتجنب ما عساه يؤدي إلى النفور والاشمئزاز، وينبغي للمرشد أيضاً أن لا يسمح لأحد بالكلام في أحد، فإنه قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)).

الفائدة الرابعة والثلاثون: وهي فائدة جامعة، وهي في سلامة الصدر من الفساد:

جاء في الرواية عن النبي ﷺ أنه قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: ((كل مخموم القلب صدوق اللسان))، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: ((هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد)).

إن فساد القلب داءٌ خبيث يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، فلا يكون فيها فائدة ولا عصمة.

إن الحقد إذا حلَّ في القلب دفع بصاحبه إلى التخيل وافتراض الأكاذيب واتهام الناس بما هم منه بريئون، وتكبر له نفسه الشيء الصغير وتضخمه، ثم القسوة والعناد، فيقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويفسد في الأرض، ومن ثم فلا يستريح صاحب الحقد إلا إذا وجد له متنفساً يرغي فيه ويزبد، ويؤذي ويفسد.

وقد أدرك الناس حتى في جاهليتهم أنه لا يحمل الحقد إلا أهل الدناءة، أما أهل المروآت فإنهم يتنزهون عنه، قال عنترة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

والحقد هو بذرة الفساد التي تثمر الحسد والبغضاء والمشاحنة والنميمة والغيبة، والافتراء على الناس، وظنَّ السوء، وقطعَ ما أمر الله به أن يوصل، والفساد في الأرض بغير الحق، والبغي والإثم، ويحمل صاحبه على رد الحق وشكاسة الخلق، ومن ثم فلا يقيل عثرة عاثر، ولا يقبل معذرة معتذر، ولا يغفر ذنب مذنب، وعند ذلك تنتزع من قلبه الرحمة، وتحل محلها القسوة، وتستولي عليه الغفلة، فتراه يتمنى الخسارة لكل أحد، لا لشيء إلا لأنه هو لم يربح، فلا تزال مراجل الحقد تغلي في صدره؛ لأنه وجد متاع الدنيا الذي يتمناه في يد غيره من دونه، وهذه عنده هي الطامة.

وقديماً لما رأى إبليس أن آدم عليه السلام قد حاز كرامة الله حقد عليه، وعلى ذريته، فقال مقسماً: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وذلك لأن الحاقد لما فاته الخير تحوَّل يكيد للحاصلين عليه، كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالكل أعداء له وخصوم

وكان الأجدر بهذا الحاقد أن يتحول إلى ربه يسأله من فضله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] فلربما أدرك بعدُ ما عجز عنه من قبل، فإن فضل الله واسع، وقد أمر بسؤاله.

ونعوذ بالله من الحقد فإنه إذا استشرى في القلب صعب علاجه وتعسر إطفاء حرارته، وفي المثل: (آخر الدواء الكي) فلن يطفئ لهيبه إلا حميم جهنم وغسلينها، ثم الكي بجمرها، عند ذلك سيفيق الحاقد ويتندم على ما فات ولكن حين لا ينفع الندم.

*****

طبيعة الحقد

نعم، طبيعة الحقد الذي يجده الإنسان في نفسه هي أمر لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عنها؛ لأنها فطرة وطبيعة طبعت عليها النفوس، فالنفس بطبعها تدعو إلى الإثم والبغي والفساد.

والله سبحانه وتعالى حين دعا عباده إلى ترك الحقد أراد منهم أن لا يطيعوا أنفسهم فيما تدعوهم إليه، ولا يوافقوها فيما تهوى، وهذا مما هو داخل في قدرتهم وتحت وسعهم.

إذاً فالإنسان مكلف بحبس لسانه ويده وجميع جوارحه عن كل ما تدعو إليه طبيعة الحقد، فبقدرته أن لا ينتقص أحداً، ولا يهتك عرض أحد، وبقدرته أن يتواضع لإخوانه، ويدعو لهم بخير الدنيا والآخرة، وبقدرته أن يسعى فيما ينفعهم، وبقدرته أن يذكر فضائلهم، وأن يصون أعراضهم، وأن يدافع عنهم، ولا يضره حينئذ ما في قلبه، وإنما يضره لو أطاع هوى نفسه، أما إذا خالف هوى نفسه فلا يضره، وتماماً كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

فالمؤمن الحق هو الذي رجحت عنده طاعة ربه على طاعة هوى نفسه، وهذا هو الحب الذي مدح الله المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، فالمحب لله تعالى يؤثر طاعة ربه على طاعة نفسه، ويقدم ما يحبه الله تعالى على ما تحبه نفسه.

*****

جهاد النفس

وهكذا كل الطاعات، فإنها لا تحصل إلا بعصيان النفس ونهيها عن هواها، فكل واحد مما أمر الله تعالى به له من النفس ما يدعو إلى خلافه.

فمثلاً التصديق بالله تعالى، وبرسله، وباليوم الآخر يزاحمه ويصارعه الشك الذي تقتضيه طبيعة النفس، وليس في وسع المكلف أن يبعد الشك عن نفسه، لكنه مكلف بأن لا يستجيب لداعي الشك، وبأن يضعفه ويكسر شوكته بالنظر والتفكر في آيات الله، والتدبر لكتاب الله، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء] فالتدبر لكتاب الله تعالى يدحر الشك، ويكبحه ويضعفه، فالمكلف محتاج دائماً إلى مجاهدة نفسه وعصيانها ومصارعتها، وكبح جماحها في كل طاعة.

والنجاح في السيطرة على النفس وكبح جماحها مرهونٌ بحصول الخشية من الله تعالى، والخوف من عقابه.

هذا، ولولا المشقة العظيمة التي يعانيها المكلف في مصارعة نفسه، وردِّ هواها في كل ما كلف به لما استحق المنازل الرفيعة في الجنة، ولذا قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

هذا، وقد قال تعالى فيمن أعرض عن داعي ربه، واستجاب لداعي هواه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...الآية﴾ [الجاثية:٢٣] الله سبحانه وتعالى يدعو المكلف إلى طاعته، وداعي الهوى أيضاً يدعو إلى طاعته، فإذا استجاب لداعي الله تعالى فهو

مؤمن، وإن أعرض عن داعي الله تعالىٰ، ومال إلىٰ إجابة الهوىٰ وطاعته، فقد خرج بذلك عن الإيمان، وعبد هواه، ويلزمه لذلك اسم الكفر والشرك؛ لأن مَنْ عبد غير الله تعالىٰ يسمىٰ كافراً ومشركاً، وإن لم تجر عليه بعض الأحكام.

قد يخف هوىٰ النفس تدريجياً، فالمكلف في بداية الأمر يجد صعوبة شديدة، ويعاني من المشقة والتعب معاناةً ثقيلة، ثم تخف تلك الصعوبة والمعاناة في الوقت الثاني، ثم كذلك حتىٰ تنقاد النفس أخيراً، ويسهل قيادها.

*****

الختام

ينبغي الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في الأوقات المناسبة، ولاسيما في وقت الخلو بالنفس والهدوء، ومن الأدعية المأثورة:

((اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت عالم الغيب والشهادة، اللهم أذهب عنا الهم والحزن والفتن ما ظهر منها وما بطن، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين))، والاستغفار فيه خير كثير، خير الدنيا والآخرة، فلا يمل الإنسان منه.

وأخيراً، فقد أفرغت في هذه الصفحات كل ما أنصح به المرشدين وطلبة العلم، ولم أدخر عنهم شيئاً فيه خير ومنفعة، نزولاً تحت وجوب القيام بالنصيحة.

ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون،

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وسلم تسليماً كثيراً

******

***

*

المحتويات